كتاب نادر في نقد الصوفية

المُوفي

بمعرفة التصوّف والصوفي

تأليف

الإمام كمال الدين أبي الفضل
جعفر بن ثعلب الأدفوي المصري
(٦٨٥ - ٧٤٨هـ)

حققه وقدم له وعلق عليه
الدكتور محمد عيسى صالحية

مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع
الكويت

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع
ص.ب: ٢٦٢٢٣/الصفاة
الرمز البريدي: 13123
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

شهد القرن الثاني الهجري ظهور الحركة الصوفية، حين بدأ إعراضُ النَّاس عن السبيل السويّ من مراقبةِ اللهِ وخشيته وذكره في السِّرّ والعلَن والزهد في الدُّنيا. فقد هالَ جماعةَ الصالحين تكالبُ النَّاس على الدُّنيا. واستباقهم للانهماكِ في الملذّاتِ والملاهي، فانتحوا جانباً متجهين إلى الحقِّ سبحانَه، متبتِّلينَ، يتلُونَ كتاب الله، ويقومونَ الليلَ تهجداً وتهليلاً بالسرّ والعلَن.

وأخذَ جماعةٌ من هؤلاءِ على أنفسهم تبيين السلوك العملي للصوفيَّة، فوصف المحاسبي في كتابه «الرعاية لحقوق الله تعالى» سلوك الصوفية بأسلوب علمي.

وكانت مسالك الصوفية حتَّى القرن السادس الهجري بصورة عامّة قريبةً إلى الزهد، مع ما خالَطَها في بعض الأحيان من ابتعادٍ عن جادة الصواب.

غير أن الأحداثَ الجسامَ التي تعاقبت على الدولة الإسلامية منذ أواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري، أُوجدت ردة فعل معاكسة، فانصرف بعضهم عن الحياة وشؤونها ومالوا إلى التواكل، وغدا الزهد في أعرافهم نوعاً من اللامبالاة يصل لدرجة الخنوع.

لقد كانت البداية حين عقد الأيوبيون العزمَ على التصدّي لتيار الفكر الشيعي إثر انهيار الدولة الفاطمية؛ إذ أنشأ الأيوبيون العديد من المدارس ودور الحديث في مصر والشام واستدعى علماء وفقهاء السُّنَّة ليقوموا بدورهم في تلك المؤسسات، فأصبحت مدن إسلامية كثيرة مثل الإسكندرية، والقاهرة، وقوص، وأسيوط، والقدس، وحلب، ودمشق، وطرابلس، مراكزَ نابضة لعلوم السنّة والفكر السنّي.

ثم جاءت الهجمة الصليبية الشرسة لتُضيف أعباءً أُخرى، حيث ألقت بكاهلها على صلاح الدِّين، فعمل على تثبيت عروبية وإسلامية البلاد التي كانت مطمع الغزاة الجدد، فأقام الخوانق والرُّبط والزوايا والتكايا، إضافة إلىٰ المساجد والمدارس ودور الحديث والبيمارستانات، وكان هدف صلاح الدِّين من وراء ذلك النهوض بالشعور الديني عند المسلمين، ورفع استعدادات الأمة الإسلامية لمقاومة الأخطار التي تتهددها.

واحتل جماعة من الناس تلك الأماكن، امتهنوا الذكر وقراءة القرآن. وسلكوا السبيل القويم، وكانوا نماذج خيرة للأتقياء والعبَّاد. ولكن تلك الأماكن ما لبثت أن أصبحت ملجأً وملاذاً لكل طالب راحة، حيث يجد فيها ضالته من الطعام واللباس والشراب دون عناء يذكر، وتلا ذلك ازدياد أعداد المنتظمين في سلك الصوفية، لا سيما بعد تضخم عدد الخانقات والرُّبط والزوايا والتكايا، ومبالغة الناس في حبس الأوقاف عليها، وتباري السلاطين والأمراء والأغنياء في تقديم الأموال والهدايا لمرتاديها. فسهلت حياة المتصوفة ونعموا بعيشة مترفة باذخة، قادت إلى تفشي البدع فيما بعد.

وإزاء ذلك فقد كثر ادّعاء التصوف، بقصد التعيش، فأمّ العديدون الخانقات، ولبسوا الصوف، وحلقوا الرؤوس. ولكنهم لم يتخلقوا بأخلاق

الزهاد أو الصوفية، وغدا الصوفي على الأغلب، رجلاً أكولاً، كثير الفضول، يُضرب بتطفُّله المثل، فقالوا: «نعوذ بالله من النّار، ومن الصوفي إذا عرف باب الدار». وفي وصفٍ آخر لحالهم بأنهم «أكلة، بطلة، سطلة، لا شغل لهم ولا مشغلة».

وعرَّف كثير من الفقهاء جماعة المتصوفة «بأنهم رجال يظهرون الإسلام، ويبطنون فاسد العقيدة، في أرجلهم جماجم وعذباتهم من قدام»[1].

ومما زاد في تكالب جماعات من النَّاس علىٰ الانضواء في سلك الصوفية، وقوع الهجمة التترية المغولية المدمرة على العالم الإسلامي، وما أورثته في النفوس من شعور بالمرارة وخيبة الأمل، وما اتصف به ذلك العصر من شظف في العيش نتيجة القحط والجدب فاستدامت المجاعات، وانتشرت الأمراض السارية كالطاعون والجُدري وغير ذلك من الأمراض الفتاكة. ووجد هؤلاء في الخانقات بسطةً في العيش، وسَعة في الحال، بل وترفاً في المأكل والمشرب والملبس، ذلك أن العديد من المصالح والمنشآت، كالبساتين والدكاكين والحمامات والأسواق قد وقفت على الصوفية، فخانقاه سعيد السعداء بمصر التي أنشئت سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م، أوقفت عليها جملة من المصالح لينفق من ريعها على فقراء الصوفية، من جملتها بستان الحبانية وقيسارية شراب، وكان يخصص لكل صوفي فيها ثلاثة أرغفة زنتها ثلث رطل في مرق، ويعمل لصوفيتها الحلوىٰ كل شهر، ويفرق عليهم الصابون[2]. أما صوفية خانقاه ركن الدِّين بيبرس، فقد أُلحق بها مطبخ، يوزع منه على المجاورين اللَّحم والطعام وثلاثة أرغفة كل يوم إضافة إلى

(١) سلام: الأدب في العصر المملوكي، ١/٢٠٢، ووردت الأوصاف في الرسالة، ٧ أ.
(٢) المقريزي: المواعظ، ٢/٤١٦.

الحلوى، ولصوفية خانقاه شيخو علاوة على ما ذكر، الزيت والصابون[1].

أما صوفية خانقاه سرياقوس فلهم كل سنة ثمن كسوة وتوسعة في كل رمضان والعيدين والمواسم، فوق ما كان لهم من طعام شهي وخبز نقي إضافة إلى الحلوى وزيت الزيتون والصابون وثمن الفواكه، هذا عدا ما في الخانقاه من سكر وألوان من الشراب وأنواع الأدوية.

كما أُلحق بالخوانـق الحمامات والمطابخ والمدافن، ومدت أرضيتها بالفرش وآلات النحاس والكتب والقناديل وغيرها من الأدوات النفيسة، التي لا يقتنيها إلا الملوك والأمراء.

إنّ من يطلع على وقفيات الخوانـق والزوايا والأربطة يدرك مدى العبء الاقتصادي الذي عاناه المجتمع بسبب ضيق القاعدة التي تستفيد من المصالح الاقتصادية المحبوسة على الصوفية دون غيرهم من شرائح المجتمع.

وكدليل على حياة البذخ والترف التي نعم بها الصوفيون، نقدّم أنموذجين لسماعين عقدا في مصر والشام سنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦١ م.

«قال المولى قطب الدِّين ـ رحمه الله ـ: حكى لي بعض الناصرية، قال: لما دخلنا الدِّيار المصرية، اتفق أن بعض أكابر الأمراء عمل سماعاً، وحضر بنفسه إلى الأمير جمال الدِّين ودعاه، فوعده بالمضي إليه والحضور عنده، فلما كان عشاء الآخرة، مضى ونحن معه ـ جماعة من مماليكه وخواصه ـ إلى دار ذلك الأمير، فلما دخل وجد جماعةً من الأمراء جلوساً في إيوان الدار، وجماعةً من الفقراء في وسط الدار، فوقف، ولم يدخل، وقال لصاحب الدار: أخطأتم فيما فعلتم، كان ينبغي أن يقعد الفقراء فوق وأنتم

(١) المرجع السابق، ١/٢٨٣.

في أرض الدار، ولم يجلس حتى تحول الفقراء إلى مكان الأمراء، والأمراء إلى مكان الفقراء، وقعد هو ونحن بين الأمراء، فلما غنّىٰ المغني، قام أحدهم والدف بيده يستعطي، وهذه كانت عادة المغاني في الدِّيار المصرية، فلما رآه الأمير جمال الدِّين انتهره، وقال: والك».

وتمضي الرواية في شرح حال الصوفية وهم يرقصون ويجمعون النقود من الذهب والفضة من الأمراء، ثم أكلهم ما لذ وطاب من المطعم والمشرب[1]. وانصرافهم فرحين جذلين.

كما أورد قطب الدِّين اليونيني في «ذيله» على «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي عرضاً دقيقاً، وصف فيه إحدى تلك الليالي الراقصة، جاءت في ترجمة لاجين بن عبدالله الأمير حسام الدِّين الجوكنداري (ت ٦٦٢ هـ/ ٦٣ - ١٢٦٤ م).

حيث قال: «. . . وكان له في الفقر والصالحين عقيدة حسنة، ويكثر من الإحسان إليهم والبر بهم، وافتقادهم بالنفقة والكسوة وغير ذلك، وكان يعمل لهم السماعات، ويحضر فيها من المآكل والمشارب والأراييح الطيبة والشموع ما يبهر العقل ويتجاوز الحد، فكان يقدر ما يغرمه على السماع الواحد تقريباً ثمانية آلاف درهم[2]. . . إلخ.

ويمضي اليونيني في وصف ليلة سماع حضرها هو بنفسه في دارة لاجين الكائنة بالعُقَيبة بدمشق أواخر سنة ٦٥٩ هـ، ذلك أن الدار أضيئت

---

(١) حبيب الزيات: ليلة رقص وسماع أميرية للفقراء، مجلة المشرق العدد ٤٣ سنة ١٩٣٩ م، نقلاً عن الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ـ مخطوط بالمكتبة الأحمدية بحلب المحفوظة الآن بمكتبة الأسد بدمشق رقم ١٢١٤، الأوراق من ٢٧٠ ـ ٢٧١ من الجزء الأول.

(٢) اليونيني: «ذيل مرآة الزمان» خ أكسفورد POC. OR. 132 الأوراق ١١٢ ـ ١١٣.

بالشموع الكافورية في أنوار (شمعدانات) الفضة، والمطعمة بصنوف الجواهر والأحجار الكريمة.

حتى إذا قضيت صلاة المغرب مدَّ للفقراء سماطاً اشتمل على قريب مئة زبدية عادلية، في كل زبدية خروف صحيح رضعي، وحوالي ثلاث مئة زبدية في كل واحدة ثلاثة طيور دجاج وغير ذلك من أنواع الطعام، وبعد العشاء وإتمام الصلاة شرع الحاضرون في الغناء والرقص، حتى إذا ما تعبوا مَدَّ سماطاً من الحلوى والقطائف الرطبة والمقلوة المصنوعة بالسكر المصري والفستق والمسك ثم رقصوا وغنوا جميعاً، ومن ثم مُد سماطاً عظيماً من الفواكه النادرة في غير موسمها من سفرجل وتفاح وكمثرى ورمان وبطيخ، وبعدها عادوا إلى الرقص والغناء، ومن ثم مَدَّ سماطاً من المكسرات على أنواعها من قصب عراقي وفستق وبندق وزبيب، والكعك المحشو والخشكنان (أقراص من الدقيق والحلوى)، والبقسماط وغيرها، وكان شرابهم مصنوعاً بالثلج والسكر وماء الخلاف (نوع من الصفصاف المصري المستقطر)، وماء الورد، إضافة إلى المباخر المعمرة بالند والعنبر والعود الهندي حتى إذا كان وقت السحر دخلوا حماماً مجاوراً لدار لاجين، فاستحمّوا وأُلبسوا القمصان والثياب الجدد، وبعد الحمام عادوا إلى الدار فأُشربوا الأشربة التي تناسب الحمام، ومن ثم مد لهم سماطاً من الحلوى الساخنة، وبعدها ينصرفون.

ولتقدير حالة الناس آنذاك، فقد علّق اليونيني على وقوع هذا السماع، بأنه أقيم، والناس في ضنك، فغرارة القمح بدمشق ثمنها ثلاث مئة درهم، ورطل اللحم بالدمشقي ثمنه سبعة دراهم، والدجاجة ثمنها ثلاثة دراهم. وجميع الأشياء غالية جداً.

فانظر أي ترف ورخاء، عاش فيه صوفية ذلك العصر؟

ولم يقتصر دور الصوفية على التخريب الاقتصادي، بل تعداه إلى التأثير في الأحداث السياسية والاجتماعية، وذلك من خلال تغلغل الحركة في أوساط العامة والخاصة، ومن ثم فإنَّ الدولة اعترفت بمؤسسات الصوفية وقربت مشايخ الصوفية، حتى إن السلاطين كانوا يفاخرون ببناء الأربطة والخوانق والزوايا لجماعة الصوفية، لاعتقادهم أن بإمكان الفقراء المتصوفة الإتيان بالخوارق، وكشف الضّرّ عن السلاطين، والادعاء بالمكاشفة ومشاهدة الحق[1]. ولذا فإن فقراء الصوفية كثيراً ما دعوا ليرفعوا الضّرر عن مصاب، أو ليدعوا بالعافية لمريض[2].

وقد بلغ من تأثير شيخ شيوخ خانقاه سعيد السعداء أن نجح في إبعاد ابن تيمية عن مصر إلى الشام سنة ٧٠٧ هـ = ١٣٠٧ م، حيث حُبس في الشام، بدعوىٰ تكلمه على مشايخ الطريقة، وكان شيخ سعيد السعداء قد جمع فوق خمس مئة صوفي من صوفية الخانقاه وسار بهم في تظاهرة إلى القلعة، وكانت جماعات غفيرة من العامة قد انضمت إلى المظاهرة، وفي القلعة، شكوا للسلطان ابنَ تيمية، الذي أحالهم بدوره إلى القاضي الشافعي فدفعهم عنه إلى تقي الدِّين علي بن الزواوي المالكي، والذي أصدر بدوره الحكم الذي أشرنا إليه[3].

وفي دمشق أيضاً عُنِّف ابنُ رمضان الشاهد، لأنه تكلم في حق الفقراء[4]. وضُرِب حتى طلب التوبة والاستغفار.

بل إن الصوفية كثيراً ما قاموا بإراقة الخمور والبوزة لأنها محرمة على

---

(١) الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ١٦.

(٢) الصقاعي: تالي وفيات الأعيان، ١٥١.

(٣) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٢١.

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٩، ٧، حوادث سنة ٨٨٥ هـ.

غيرهم، وقد يخرجون إلى الشوارع لإطلاق سراح أحدهم من السجن، وأموراً أخرى كثيرة.

وسدر الصوفية في مفاسدهم، حتى إن بعضهم أفتىٰ بحرام الكسب إلّا عند الضرورة، لأن الكسب في عرفهم ينفي التوكل على الله أو ينقص منه، وقد أمرهم الله بالتوكل، ورزقهم في السماء وما يوعدون[1].

ثم إن بعض الصوفية كانوا لا يقيمون الصلاة أبداً، مدَّعين أنهم لا يقومون بأدائها إلّا في الأماكن المقدسة فقط[2].

لقد عمَّ الفساد حياة الصوفية في عادتهم وأخلاقهم ورسومهم وسننهم وملابسهم وأزيائهم ومشاربهم ومآكلهم، واشتهر المتفقرون من المتصوفة بالجشع في الأكل والشرب، والولع بالرقص والتهافت على السماع والغناء.

حتى قال فيهم الشاعر الطاهر: [الوافر]

أرى جيلَ التصوف شرُّ جيلٍ ... فقل لهمُ وأهونْ بالحلولِ
أقالَ اللهُ حين عبدتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي[3]

وعليه فإن أبرز مظاهر الفساد في حياة المتصوفة علاوة على ما ذكر، يمكن إيجازها بما يلي:

(١) الشيباني: الكسب، ٣٧، العيني: عقد الجمان، ج ٣٣/٣٨ أ، الكلاباذي: التعرف، ١٠٢.

(٢) الشعراني: اليواقيت والجواهر، ١/١٢٥.

(٣) وردت الأبيات في النص المنشور من رسالة ابن القارح، علي منصور الحلبي، الذي كان معاصراً لأبي العلاء المعري، والتي جاءت رسالة الغفران رداً على رسالة ابن القارح لأبي العلاء، وقد جاء في الشطر الأول من البيت الثاني: أقال الله حين عشقتموه ولعله الأصوب، لأن الصوفية تعشق بينما العبادة لكل البشر، انظر: أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، تحقيق د. بنت الشاطىء، ط. السادسة، دار المعارف، ١٩٧٧ ص ٣٦ ـ ٣٧، بنت الشاطىء: جديد في رسالة الغفران، ط. بيروت ١٩٧٢، ص ٥١.

ـ السماع والرقص:

والسماع عند الصوفية، لياليَ تعقد، فيها ينشدون ويرقصون، وفي عرفهم أن السماع يولد حالة في القلب تسمّىٰ بالوجد، وهذا بدوره يحرك أعضاء البدن، فإن كانت الحركات غير موزونة كانت اضطرابات، وإن كانت موزونة فحينئذ تكون تصفيقاً ورقصاً[١]، ويبدو أن نوعاً من الهوىٰ والغلبة قد سيطرا على الصوفي، فإن سمع غناءً أو إيقاعاً بقضيب، تواجد وصفق وربما مزّق ثيابه ورماها[٢].

وقد أنكر عليهم جماعة من العلماء مثل هذا السلوك الشائن، وصنفوا الكتب ووضعوا القصائد في ذم سلوكهم، فالإمام موفق الدِّين، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي وضع رسالة في ذم ما عليه مدَّعو التصوف من الغناء والرقص والتواجد وضرب الدُّف وسماع المزامير، ورفع الأصوات المنكرة بما يسمونه ذكراً وتهليلاً، بدعوى أنها من أنواع القُرَبِ إلى الله تعالى.

وهجاهم كثيرٌ من الشعراء مثل شدَّاد بن إبراهيم الملقب بالطاهر الجزري، والعميد أبو محمد، عبدالله، أحمد بن إبراهيم الزواوي الكاتب، وظهير الدِّين قاضي السَّلاَّميَّة ت ٦١٠ هـ = ١٢١٣ م[٣]، الذي هجا مكي شيخ زاوية الفقراء بالبوازيج، البليدة القريبة من السّلاَّمية، فقال: [المتقارب]

أَلا قُـلْ لِمَكّـي قَـوْلَ النَّصُـوحِ ... فَـحقُّ الـنصيحـة أن تُـستَـمَـعْ
متى سمـع النَّـاسُ فـي دِينِـهم ... بـأَنَّ الـغِـنَـا سُـنّـةٌ تُـتَّـبـعْ؟

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢/٢٣٦، ابن الجوزي: تلبيس إبليس ٢٦٧ (نقد مسلك الصوفية في الغناء والسماع)، الهروردي: عوارف المعارف، باب ٢٤ «القول والسماع»).

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٦٠.

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن نصر بن عسكر، انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧/٣٧ ـ ٣٨.

وَأَنْ يَأْكُلَ المَرْءُ أكلَ البَعِيْرِ   وَيَرْقُصَ في الجَمْعِ حتّى يَقَعْ
وَلَوْ كَانَ طاوي الحَشَا جائعاً   لما دار من طَرَبٍ واسْتَمَعْ
وقَالوا سَكِرْنا بحبِّ الإلَهِ   وَمَا أَسْكَرَ القَوْمَ إلا القِصَعْ
كذاك الحميرُ إذَا أخصَبَتْ   يُنَقِّزها ريُّها وَالشَّبَعْ

ـ مصاحبة المرد والأحداث:

لستحل بعض الصوفية كل المحرمات والكبائر، وتظاهروا بالفسق والفجور والمخازي، فليلة الماشوش تتم علانية عند متصوفة شيراز[١]. وقد روى خبرها التنوخي في نشوار المحاضرة[٢]، ذلك أن ابن خفيف البغدادي، شيخ متصوفة شيراز، وقد مات رجل صوفي من أصحابه، وخلف زوجة صوفية، فاجتمع النساء الصوفيات يعزينها، حتّى إذا انتهت مراسيم الدفن، وصل ابن خفيف الدار وأخذ يعزي المرأة بكلام من كلام الصوفية إلى أن قال: أعزيت.

قال لها: هاهنا غير[٣].

فقالت: لا غير[٤].

فقال: فما معنى التزام النفوس آفات الهموم وتعذيبها بعذاب الغموم؟ ولأي معنى تترك الامتزاج[٥] لتلتقي الأنوار[٦] وتصفو الأرواح وتقع

---

(١) انظر الزيات (حبيب): كتاب الديارات في الجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري. مجلة المشرق ٤٢: ١٩٤٨، ٢٩٧.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة، مجلة المجمع العربي بدمشق، العدد ١٧ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) أي هل يوجد هنا غير موافق في المذهب.

(٤) أي ليس من يخالف.

(٥) كناية عن الوطء.

(٦) أي النور الإلّهي.

الاختلافات وتنزل البركات. فقالت النساء: إذا شئت.

فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم، فلما كان سحراً خرجوا، ويبدو أن ذلك الحادث قد وقع في اليوم الأول من الصوم، أو الأحد الأول من الصوم حسب رواية الشابشتي في الديارات[1]، وأصبح ذلك اليوم احتفالاً لهم يختلط فيه الرجال بالنساء.

وقد أشار ابن الجوزي إلى أن صوفية عصره قد سدُّوا على أنفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب، لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن، واشتغلوا بالتعبد عن النكاح. واتفقت لهم صحبة الأحداث على وجه الإرادة وقصد الزهادة[2].

ويقرر ابن الجوزي بأن آفة الصوفية في عصره في صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد[3]، ولم يقف البلاء عند هذا الحد، بل تعداه لإضفاء مشروعية ذلك للمتصوفة، فقد صنف أبو الفضل، محمد بن طاهر، المعروف بابن القيسراني الشيباني ت ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م رسالة في إباحة السماع والنظر إلى المرد[4]. واشتهر من المتصوفة بالتهتك والاستباحة خضر الكردي شيخ الملك الظاهر بيبرس، والشيخ أبي الحسن الحريري، وسليمان بن المولّه المجذوب.

وكان علي الحريري أكثرَ المتصوفة تهتكاً في معاشرة الأحداث «فكان

(١) وردت عند الحديث عن دير الخوات ص ٩٣، وانظر ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ١/٢٨٠ ـ ٢٨٢ (تحقيق أحمد زكي باشا).

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ٢٦٥.

(٣) المرجع السابق، ٢٧٦.

(٤) الشعراني: الطبقات الكبرى، ٢/١٢٩.

من وقع نظره عليه من الأحداث وأولاد الجند والأمراء وغيرهم يحسن ظنه فيه، ويميل إليه، ولا يعود ينتفع به أهله، بل يلازمه ويقيم عنده، اعتقاداً فيه وميلاً إليه»[1].

ومع أن ظاهرة مصاحبة المُرد والأحداث والمخنثين كانت واضحة في العصور العباسية المتأخرة، فقد اشتدت في عصر المماليك، وذلك إثر قدوم طائفة من الأويراتية التترية[2]، المشهورين بالجمال سنة ٦٩٥ هـ = ١٢٩٥ م، وانتشارهم في مصر والشام، ومن ثم دخولهم في خدمة الأمراء المماليك، وتنافس أمراء المماليك في اقتناء صبيانهم وبناتهم، ومن تبقى من هؤلاء الأويراتية بعد ذلك انخرط في الجيش، وتفرقوا في الممالك لتنتشر معهم المفاسد، ووجدت جماعات من الصوفية فيهم ضالتهم، فبالغوا في إضفاء مشروعية صوفية على فعلتهم النكراء، وقد أورد لنا الشعراني ـ أحد كبار متصوفة القرن العاشر الهجري ـ خبر الصالح محمد بن عراقي، الذي كان لا يمكّن ابنه علياً من الخروج إلى السوق، حين كان أمرد، إلاّ أن يُبَرقَع خوفاً عليه من السوء والفتنة[3].

ولم يقف الأمر على المرد والأحداث بل تعداه إلى سواه من البهائم والحيوانات، فقد كان الشيخ الصوفي علي وحيش (ت ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م) كثير الاعتداء علىٰ البهائم والأتن[4].

لقد كان هذا الضرب من التصوف استهزاءً بالأديان، وبعداً عن جادة الزهد والعبادة، وتهتكاً، حتّى استحق صوفية القرون التالية للقرن السادس

---

(١) الدلجي: الفلاكة، ٧٢، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ٣٢٥.
(٢) قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من خط نهر Venessei بأواسط آسيا.
(٣) الشعراني: لواقح الأنوار، ٢/٢٥٧، زكي مبارك: التصوف، ١/٢٥٧.
(٤) الشعراني: الطبقات الكبرىٰ، ٢/١٢٩ ـ ١٣٠.

هجري، لقبَ «الفقراء المخربين»، لأنهم يناقضون السنن والعادات ويخرجون عن الآداب والشرائع[1].

- **تعاطي الحشيش:**

دأب عدد من الصوفية على تعاطي الحشيشة، بدعوى أنها تذهب الهموم الكثيفة عن قلوبهم، وتجلو بفعلها أفكارهم الشريفة.

وليس بين أيدينا نص موثوق حول كيفية دخولها إلى العالم الإسلامي، فقد تعددت الروايات حولها، فبعض الروايات تنسبها إلى الهندي بيرزطن الذي حملها معه من الهند إلى فارس في القرن الأول الهجري، ومن ثم انتقلت بواسطة جماعة القلندرية الذين كانوا ينتظمون في سلك الصوفية، وقد حلقوا الرؤوس والحواجب والشوارب[2].

ورواية أخرى تنسب كشفها إلى الشيخ حيدر ت ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م، والذي جعلها وقفاً على رفاقه من متصوفة خراسان، وأوصى أن يزرعوها على قبره بعد وفاته، ومن ثم انتقلت إلى بغداد فالشام ومصر، ومن الجدير بالذكر أن جماعة الحيدرية قدموا إلى دمشق بعد سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م، وعلى رؤوسهم طراطير، ولحاهم مقصوصة، وشواربهم بغير قص، وبنوا لهم زاوية خارج دمشق، ومنها وصلوا إلى مصر[3].

وقد تغنّى شعراء الصوفية بمحاسن الحشيشة، وأطلقوا عليها عدة أسماء مثل حشيشة الفقراء، ومدامة حيدر، والقلندرية.

وكان شاعرهم محمد بن علي بن الأعمى، أكثر الشعراء لهجاً بمزايا الحشيشة، فقال: [الطويل].

---

(١) الزيات: الفقراء المخربون، مجلة المشرق، مجلد ٤٣ سنة ١٩٤٩، ٥١١ - ٥١٥.
(٢) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ٢/١١٢.
(٣) المقريزي: السلوك، ج ١ ق ١ ص ٤٠٧.

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر ... معنبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبيٌ من الترك أغيد ... يميسُ على غصنٍ من البانِ أملدِ
فتحسبها في كفّه إذ يديرها ... كرقم عذار فوق خدٍّ مورَّد
يرنحها أدنى نسيم تنسّمت ... فتهفو إلى بردِ النَّسيم المسرود
وتشدو على أغصانها الوُرقُ في الضحى ... فيطربها سجع الحمامِ المغرّدِ
هي البِكْرُ لَمْ تُنْكَح بماءِ سحابةٍ ... ولا عُصرتْ يوماً برجلٍ ولا يدِ
ولا عبثَ القسيس يوماً بكأسها ... ولا قرّبوا مِنْ دنّها كلَّ مقعدِ
ولَا نصٌّ في تحريمها عندَ مالكٍ ... ولا [هي] عند الشافعيّ وأحمدِ
ولا أثبت النُّعمانُ تنجيسَ عينِها ... فخُذْها بحدّ المشرفي المهنَّدِ
وكف أكف الهمّ بالكيفِ واسترحْ ... ولا تطرحن يومَ السرورِ إلى غدِ[1]

لقد أدخل الصوفية الحشيشة إلى العالم الإسلامي منذ القرن السادس الهجري، ولا زالت أمتنا تعاني من آثار هذا المرض الاجتماعي حتّى اليوم.

ـ الإدعاء بالإتيان بالخوارق والكرامات:

عمَّ بين الصوفية اعتقاد، بأن الإنسان إذا ارتاض وجاهد في العبادة، فإنه قد يلتحق بالملائكة الكرام حتّى يطير في الهواء ويمشي على الماء، فبالرياضة حسب اعتقادهم، ينسلخ الصوفي بالكليَّة عن الحظوظ البشرية، وهذا الاعتقاد في أساسه، اعتقاد البراهمة[2]. ولكنه شاع عند الصوفية، وكانوا يحرصون على نشر الأخبار التي تروي طيران أحدهم في الهواء، فالشيخ أبو يوسف، صفي الدِّين، الحسين بن جمال الدِّين الأنصاري الخزرجي «ارتفع بجلسته إلى العلو قدر قامتين، ودار وسع المجلس الذي كان الصوفية فيه، ثم نزل إلى موضعه!!»[3].

(١) المقريزي: الخطط، ٣/٤٠.
(٢) الغزي: لطف السمر، ١/٣٦٣.
(٣) صفي الدين الخزرجي: سير الأولياء، ٣٠، تحقيق مأمون محمود ياسين وعفت وصال، ط. بيروت.

وقد أنكر ابن تيميَّة علىٰ صوفية الأحمدية ما يفعلونه من دخولهم في النيران المشتعلة، وأكلهم الحيَّات، ولبسهم الأطواق الحديد في أعناقهم، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم، وعمل الأساور الحديد في أيديهم[1] وغيرها من الخوارق.

لقد حفلت القرون من السابع الهجري إلى العاشر الهجري بأخبار كرامات وخوارق هؤلاء الصوفية حتّى غدت أمراً مصدوقاً، يتعرض من كذَّبه إلى التعزير والإيذاء، وانسحبت آثار ذلك على العصور التالية، وخاصة في العهد العثماني، حين أصبحت الطرق الصوفية واسعة الانتشار، كثيرة الأتباع.

كانت الصوفية في ذلك العصر شرّاً أصاب المجتمع، وإفساداً للقيم والآداب، وتخريباً للشرائع والسنن، وقد عبر كلٌّ من فتح الدِّين ابن سيد الناس، وصلاح الدِّين الصفدي عن حال الصوفية بعبارات مقنعة، تعكس واقع حال المتصوفة، فالشيخ فتح الدِّين محمد بن محمد بن سيد الناس، يقول فيهم: [الخفيف]

ما شروط الصوفي في عصرنا اليو ... م سوى ستة بغير زيادة
وهي... [2] العلوق والسكر والسطْ ... لة والرقص والغنا والقيادة
وإذا ما هذىٰ وأبدى اتّحاداً ... وحلولاً من جهله وأعاده
وأتى المنكراتِ عقلاً وشرعاً ... فهو شيخُ الشُّيوخ ذو السُّجَّادَة[3]

كما وصف الصفدي هيئة أحد رجال الصوفية، فقال:

«شيخ مسن فقير، حرفوش، مكشوف الرأس، منفوش الشعر، عليه

---

(١) المقريزي: السلوك، ج ٢ ق ١ ص ١٦.

(٢) كلمة فاحشة بذيئة.

(٣) المقريزي: الخطط، ٤٢٤/٢، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ٢٨٧/٣.

دلق رقيق، بالي الخلقة رقيق، قد تمكن منه الوسخ ونبت فيه ورسخ، قد جمعه من عدة رقاع، له مدفأة يستدفىء بنارها»[1].

تحليل مادة الرسالة التي ننشرها:

ناقشت الرسالة، مسألة اقتصادية مهمة، وهي، هل يصح الوقف والوصية للصوفية أم لا؟ ذلك أن عدداً كبيراً من مصالح البلدان، كالدكاكين والحمامات والأسواق والبساتين والقرى الفلاحية والطواحين والمعاصر وغيرها، كانت توقف على صوفية خانقاه أو يوصى بإنفاق ريْعها على جماعة صوفية معينة، وبالتالي فإنه لا يستفيد من هٰذه المصالح إلا حفنةٌ من المجتمع حظيتْ بخيراتهِ وهباتِهِ، بل وأثرت في مجرى الأحداث السياسية والاجتماعية في الأمة، فغدت هي المتنفذة المقربة من أُولي الأمر، بل إن أُولي الأمر أنفسَهم باتوا يخشونهم، فتزلفوا لهم بالمبالغة في إكرامهم وإغداق الأموال عليهم.

لقد شكل هؤلاء الصوفية عبئاً ثقيلاً على اقتصاد المجتمع، وأُرهِقَ الأهالي والفلاحون بتوفير احتياجاتهم طمعاً في إرضائهم ونيل دعواتهم، وانعكست الأهداف وغرق الصوفية في المفاسد والإفساد، وسيروا الحياة الاجتماعية وفق ما يرغبون، وطغى هيلمانهم، واستفحل تأثيرهيم، فقام جماعة من العلماء، وأخذوا على عاتقهم تنبيه المجتمع لحالة التردي التي وصلت إليها حركة الصوفية، وذلك من خلال إيقاظ الأحاسيس بأصول الصوفية الحقة، فأعاد هذا النفر من العلماء، البحث في التصوف، وحقيقة الصوفي من حيث المبادىء والأهداف، والقصد من ذلك إثارة المسألة عند الناس، ليقارنوا بين حال الصوفية في عصرهم، وما يجب أن يكونوا عليه.

وكان مؤلف رسالتنا جعفر بن ثعلب الأدفوي أحد هؤلاء العلماء الذين

---

(١) سلام: الأدب في العصر المملوكي، ج ١ ص ٢٠٣.

صنفوا في باب الصوفية، وعقد أبواباً في رسالتنا للبحث في مبادىء الصوفية حيث اتكأ على «الرسالة القشيرية» واقتبس منها عشرة آراء لكبار فقهاء الصوفية عرضها بشكل ميسر بسيط.

وحول حقيقة الصوفي والكلام فيه، فقد تناول مؤلفنا، النسبة إلى التصوف، وبيان من تصدق عليه النسبة، وقرَّر بأن البدع واختلاف الفرق الإسلامية بعد سنة ٢٠٠ هـ، هي التي أخرجت التصوف عن أُصوله ومعناه[١].

وحتَّى ينجح في إقناع قارىء الرسالة أو سامعها، فقد استشهد بأكثر من عشرين رأياً لفقهاء من الصوفية من أهل الطريق وأصحاب العلم والتحقيق[٢]، وملخص ما انتهى إليه، أن الصوفي في العرف العام، هو من اتصف بالصفات المحمودة في الشرع، وتخلق بالأخلاق الممدوحة، وإن بَعُد فيها الطبع، معرض عن الدُّنيا، مقبلٌ على الآخرة، سالك الطريق التي هي أولى بالمرء».

وأما في العرف الخاص، فإن الصوفي من يلبس لبسة مخصوصة من دلق[٣] أو فرجيه[٤]، وله عمامة، يرخي منها عذبة قصيرة من قدامه، ويحضر

---

(١) انظر الرسالة، ٤ ب.

(٢) الرسالة، ٦ أ.

(٣) الدلق: نوع من اللباس يجعل تحت العباءة الفوقانية، وقد يكون كالمعطف واسعاً بدون فتحة، سوى فتحة الكتفين، ويُحاك من حرير الطرح الأزرق اللون أو من الصوف الأسود، انظر، محمد عيسى صالحية: من وثائق الحرم القدسي الشريف، ص ٢٧، دوزي: معجم، ١٨٣، ماير: الملابس المملوكية، ٩٠.

(٤) فرجية: ثوب فضفاض، له كمان واسعان، يتجاوزان قليلاً أطراف الأصابع، وقد يكون لها ذيل يرخىٰ من فوق الرأس. انظر دوزي: معجم الملابس، ١٦٧ (النص المترجم المنشور في مجلة اللسان العربي م ١٠ ج ٣).

في الخانقاه بعد العصر ليحضر القراءة والذكر، وغير متعاط للحرف الدنيئة كالحياكة أو الحجامة أو القمامة، وغير موصوف بالثروة.

وكأن الأُدفوي أراد القول، إن شروط الانتظام في سلك الصوفية في عصره هي:

- التزيّي بأزياء معينة.
- مداومة الحضور إلى الخانقاه بعد العصر للقراءة والذكر.
- عدم تعاطي الحرف الدنيئة كالحياكة والحجامة والقمامة.
- غير معروف بالثراء.

وما عداها من الزهد والعبادة والبعد عن زخرف الدُّنيا فغدت شيئاً مهملاً.

لقد مهّد الأدفوي بالبابين السابقين ليصل إلى الباب الثالث، وهو «من يستحق الوقف والوصية من الصوفية»، وهذا الباب هو جوهر الرسالة، والمقصد الأساسي لتصنيفها، ويدخل هذا الباب في نظريات الإلزام والالتزام من فقه القانون المدني. في حيثيات «العُرف».

والمادة القانونية التي يطرحها هي، أن العرف محكّم وفاصل في النزاع إذا كان منضبطاً، ولا خلاف عليه في بلد معين، فإذا اضطرب العرف في ذلك البلد، وجب البيان حينئذٍ، أي أن الحكم يربط بالأسباب.

فالوقف لا يصح على الصوفية، لعدم ضبط معنى الصوفية ووقوفه عند حدٍ. وقد أفاض مؤلف الرسالة في الاستشهاد بما في المذاهب الأربعة جواز الوقف من عدمه، فالشافعية لا تجيزه، وكذا بعض علماء الحنفية، وأما

الحنابلة، فأجازوا الوقف على المنقطعين للعبادة، وتصفية النفس من الأخلاق المذمومة[1].

ثم ناقش مؤلفنا رأي الغزالي في الوقف على الصوفية، والذي أورده في كتاب «إحياء علوم الدِّين[2]، حيث ذهب الغزالي إلى أنَّ الصوفي هو من اتصف بما يلي:

- الصلاح.
- الفقر.
- لبس زي الصوفية.
- ألا يكون مشتغلاً بحرفة.
- أن يكون مخالطاً للصوفية بطريق المساكنة والخلطة[3].

وقد تناول مؤلف رسالتنا هذه القضايا، وناقشها، وفنَّدها بنداً بنداً، واستشهد بأقوال كبار رجال الزهد والتصوف لإثبات حجته، وإبطال حجج الغزالي، وقد استند مؤلفنا في ردّه علىٰ الغزالي، على الأمور التالية:

- أن الغزالي فيما أورده لم يجرِ على القواعد الفقهية.
- أن الغزالي استند على رسوم الصوفية المحدثة.
- اعتراف الغزالي بأن لا دليلَ لديه عما يقول إلا العادات والأعراف الخاصة.
- العرف الخاص لا اعتبار له عند أهل الفتوى[4].
- قدم الأُدفوي جملة من الشواهد التاريخية تبطل الادعاء بالزي، وتنفي شرط المساكنة والخِلطة، وحتى الفقر والاشتغال بحرفة دون أخرى، وأما الصلاح،

(١) الرسالة، ٨ أ.
(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٥٣/٢.
(٣) الرسالة، ٩ أ.
(٤) الرسالة، ٩ ب.

فبيّن مؤلف رسالتنا، بأن الصلاح محصور في الاقتداء بسنّة الرسول ﷺ، وأن مسالك الصوفية لا بد أن تكون وفق القرآن والسُّنَّة[1]، وأتى بشواهد عديدة من أقوال أئمة التصوف المشهورين بالصلاح والتحقيق.

ويلاحظ بأن مؤلفنا كان ينقم على الغزالي طرح تلك الآراء، بل ويقابلها بالاستهجان، فحين عرض الغزالي لنزول الخانقاه، قال مؤلف رسالتنا «وهذا الذي ذكره الغزالي لا يناسب تحقيقه»[2]، وفي موضع آخر قال: «... وهو لم يبينه قبل، وأحال عليه، فهو عجيب منه»[3]، وفي معرض نقده لكتاب «الإحياء» قال: «لأن كتاب الإحياء ليس موضوعاً للتحقيق على طريقة الفقه، وأكثره وكثير منه، مبني على كلام صوفي»[4].

ومجمل ما انتهى إليه مؤلف رسالتنا، أن المنتسبين إلى التصوف ثلاثة أقسام:

- قسم اتبعوا ما جاء في الشرع، ووقفوا مع ما قاله علماء السُّنَّة، فهم يستحقون التعظيم ويستوجبون التبجيل والتكريم[5].
- قسم حصل لهم غلوّ في التصوف فابتدعوا طرقاً واخترعوا عقائدَ، ووقفوا مع ألفاظ مزخرفة جمعوها، فيدخلون في جملة الكفار، ويستحقون النار.
- قسم غلب عليهم الجهل، ووقفوا مع ما أُحدث من رسوم وتركوا النظر في المعارف والعوارف والعلوم. واحتفلوا بالرقص والسماع والشهوات، وهؤلاء

(١) الرسالة ١٢ ب ـ ١٥ أ.
(٢) الرسالة، ٨ ب.
(٣) الرسالة، ٨ ب.
(٤) الرسالة، ٨ ب.

(٥) لم يذكر الوقف كاستحقاقٍ لهؤلاء، وإنما اكتفى باستحقاقهم التعظيم والتبجيل والتكريم.

الأخسرون أعمالاً في الدُّنيا والآخرة[1].

أما الوقف على صوفية عصره، فلا يُقره مؤلف الرسالة للأسباب الشرعية التي أشرنا إليها. وفي ذلك قطع لمصدر ارتزاق لفئة كسولة خاملة، استنامت في عيشها إلى السهولة واليسر، واستطابت الراحة. وكان خطأ المجتمع أن وفَّرَ لها سبُل الحياة بدون تعب، فملأ الواحد منهم بطنه بلذيذ الطعام، ونام نوماً عميقاً، في انتظار الطعام الألذ، والمتعة السهلة المنال.

وصدق من قال: نعوذ بالله من النار، ومن الصوفي إذا عرف باب الدار.

مؤلف الرسالة:

هو جعفر بن ثعلب بن جعفر الأُدفُوي، أبو الفضل، كمال الدِّين ولد في بلدة أُدْفُو[2] سنة ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦م، وبها نشأ. ثم درس بمدرسة قُوص، التي كانت بها مدرسة تضارع مدارس القاهرة، ثم انتقل إلى القاهرة، ودرس على جملة من أساتذة العصر، منهم أبو حيَّان، محمد بن علي بن يوسف الأندلسي، أثير الدِّين، وابن دقيق العيد، وتاج الدِّين الدشناوي، وأحمد بن محمد بن أحمد، محيي الدِّين القرطبي وسواهم.

وقد وُصِفَ المؤلف بأنه مؤرخ، وله علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقا، وكان ينعىٰ على علماء عصره ما وَصَلَ إليه العلم في عصره، فقال: [الكامل]

إن الدروس بمصرنا في عصرنا ... طبعت على غلط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهي لنهاية ... جدلاً ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدي مباحث كلها ... نشأت عن التخليط والأخلاط

---

(١) انظر الرسالة، ص ١٧.

(٢) وهي بلدة بصعيد مصر الأعلى بين أَسْوَان وقُوص. انظر «معجم البلدان» (١/ ١٢٦) و«شذرات الذهب» (٦/ ١٥٣) طبعة القدسي (م).

ومُحدِّث قد صار غاية علمه — أجزاء يرويها عن الدمياطي
وفلانة تروي حديثاً عالياً — وفلان يروي ذاك عن أسباط
والفرق بين عزيزهم وغريرهم — وأفصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير فيهم دأبه — قول (أرسطاليس) أو بقراط
وعلوم دين الله نادت جهرة — هذا زمان فيه طُيَّ بساطي[1]

مؤلفاته:

من أهم مؤلفاته التي عرفناها:

ـ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد:

وقد ألفه بإشارة من شيخه أبي حيان، وقد ترجم فيه لأعلام عصره من إقليم قوص، وأعماله ومدنه، وقد جعل تراجمه على حروف المعجم، وشملت ٥٩٤ ترجمة، من ضمنها ترجمة لأربع نساء. وقد طبع الكتاب سنة ١٩٦٦، بتحقيق سعد محمد حسن.

ـ الإمتاع في أحكام السماع:

ويبحث في ضروب الغناء من حيث جوازه وتحريمه، وفيه فوائد موسيقية عن آلات العزف والضرب، ومنه نسخ بدار الكتب والوثائق القومية، وثانية بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة وثالثة بمتحف الطوب قابي، خزانة أحمد الثالث رقم A. 1430 ورابعة في مكتبة جستربيتي، وانظر بروكلمان، الذيل ٢/٢٧[2].

ـ البدر السافر وتحفة المسافر:

ترجم فيه لبعض شعراء القرن السابع، ويقع في مجلدين:

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع، ١/١٨٢ ـ ١٨٣، ابن حجر: الدرر الكامنة، ١/٥٣٦ ط. بيروت. د.ت.

(٢) انظر أيضاً كتاب الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع للأدفوي، خزانة مدريد الوطنية رقم ٢٤٦، حبيب الزيات: لغة الحضارة، مجلة المشرق عدد ٦٣ ج ٤، ٥، تموز ـ آب ١٩٦٥ ص ٦٧ ـ ٦٨.

الأول في الفاتيكان رقم Mus. Borg. L.F. Araba, 168 .

والثاني في مكتبة الفاتح بإستانبول رقم ٤٢٠١ .

ونسخة في ڤيينا ناقصة .

ـ فرائد الفوائد ومقاصد القواعد في علم الفرائض:

منه نسخة في مكتبة غوتا بألمانيا الديمقراطية.

ـ كتاب الإسعاف:

وقد ورد ذكره في الرسالة التي ننشرها[١].

ـ كتاب الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، وهو الذي نقوم بنشره لأول مرة.

ومن الجدير بالذكر أن كمال الدِّين الأدفوي قد عاش في القاهرة، واتخذ المدرسة الصالحية سكناً يتردد عليه الأشياخ[٢] فيها.

وقد وصفه الإسنوي بأنه: «كان مشاركاً في علوم متعددة، أديباً شاعراً ذكيّاً كريماً، طارحاً للتكلف، ذا مروءة».

وقد توفي بالقاهرة بعد عودته من الحج عام ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م[٣].

وصف النسخ:

تحتفظ خزانة الفاتح بالمكتبة السليمانية في إستانبول ـ بتركيا بنسخة وحيدة من الرسالة مسجلة تحت رقم ٢٨٧٦ ولا علم لكاتب السطور بنسخة

---

(١) انظر الرسالة ق ٦ ب.

(٢) الأدفوي: الطالع السعيد، المقدمة، ش.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ١٥٣/٦ من طبعة القدسي، الشوكاني: البدر الطالع، ١٨٢/١، المقريزي: السلوك ج ٢ ق ٣ ص ٧٩٣، والسيوطي: حسن المحاضرة، ٢٥٥/١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢٣٧/١٠، الأدفوي: الطالع السعيد أ ـ ت (مقدمة).

أخرى في المكتبات العربية والأجنبية سواها، وقد جاء على صفحة عنوانها:

كتاب الموفي بمعرفة التصوف والصوفي.
تأليف جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي.

وبالإضافة إلى السماع المسجل على صفحة العنوان، والذي سنشير إليه مع السماعات الأخرىٰ المسجلة في نهاية الرسالة، فقد وردت عبارات تفيد بأن الأدفوي كان تلميذاً لأبي حيَّان، بخط المؤلف ثم حول كلمة القيمري عبارة، قلعة بين الموصل وخلاط (لب اللباب). وكذا إشارة إلى أن الرسالة قد روجعت من قبل أبي حيَّان الأندلسي نفسه.

السماعات الموجودة على الرسالة:

أولاً: على صفحة العنوان:

١ ـ «سمع جميع هذا الكتاب من لفظ مؤلفه الشيخ الإمام العلاَّمة كمال الدِّين، أبي الفضل، جعفر بن ثعلب الشافعي الأدفوي نفع الله به بحضور سيدنا وشيخنا الأستاذ الإمام العلاَّمة وحيد دهره وفريد عصره، ونسيج وحده، أعجوبة الزمان أثير الدِّين، أبي حيَّان، محمد بن علي بن يوسف بن حيان، فسح الله في مدته، صالحٌ بن عبدالله بن عبدالله الدمشقي القيمري، وذا خطه وصح ذلك يوم الاثنين، ثامن عشر صفر سنة إحدى وأربعين وسبعماية بمنزل شيخنا أبي حيَّان بالمدرسة الصالحية بين القصرين بالقاهرة المحروسة، وأجازا إليَّ جميع ما يجوز لهما روايته، والحمدلله ربِّ العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وسلم».

ويستفاد من السماع أن الذي سجله هو صالح بن عبدالله بن عبدالله الدمشقي القيمري، وكان ذلك بتاريخ ١٨ صفر سنة ٧٤١ هـ، وبمنزل أبي حيَّان بالقاهرة، وأن صالحاً هذا قد أُجيز بالرواية من قبل الأدفوي وأبي حيَّان.

ثانياً: على الورقة ١٨ أ و١٨ ب وجدت السماعات التالية:

١ ـ سمعها أجمع على مؤلفها إلخ الإمام العلاّمة كمال الدِّين، أبي الفضل الأدفوي أحسن الله إليه، بقراءة... إلخ المُحَـدِّث الرّحال، عز الدِّين بن حمزة بن أحمد الهكاري... إلخ، برهان الدِّين، إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر الفدي ـ كذا ـ المرشدي وعبد العزيز بن محمد المؤذن البغدادي وذا خطه، وصحَّ وثبت بدار الحديث الكاملية[1] من القاهرة، يوم الخميس ثامن عشر رمضان سنة أربعين وسبعماية، وصلى الله على سيدنا محمد النَّبيِّ وآله وصحبه وسلم.

ويستفاد من السماع أنه تم في دار الحديث الكاملية التي أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدِّين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م، وهي ثاني مدرسة عملت للحديث، ووقفها على المشتغلين بالحديث، وكانت بخط بين القصرين، وقد سمعها ثلاثة من العلماء، وسجل السماع بخط عبد العزيز بن محمد المؤذن البغدادي، وكان تاريخه قبل السماع المسجل على صفحة العنوان:

٢ ـ على الصفحة ١٨ ب ما يفيد قراءة الرسالة من قبل عبد العزيز بن محمد بن خلف النوري، وقد سمعها منه عبد الواحد بن سعيد الغازازي والشيخ محمد السمودي وكان ذلك بالمدرسة الصالحية بالقاهرة المعزية في ثامن عشر شهر المحرم الحرام، افتتاح شهور سنة ٧٤٣».

وكتبه جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن مطهر بن وائل الأُدفوي، حامداً لله ومصلياً على نبيه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) حول دار الحديث الكاملية، انظر، المقريزي: الخطط، ٢/٣٧٥، أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ٢/٥٥.

ويستفاد من السماع أن المؤلف قد أجاز لعبد العزيز النوري الرواية، وحضر القراءة بالتاريخ المشار إليه. وكذا على الصفحة نفسها ما يفيد نقلها من قبل يحيى الجعفري.

كتب المخطوط بخط نسخ جميل وبالمداد الأسود والمداد الأحمر، وكانت العناوين مكتوبة بالمداد الأحمر، وبخط أكبر حجماً، كما خُط بالمداد الأحمر تحت العبارات المهمة في الرسالة.

عدد الأوراق: ١٨ ق.

عدد الأسطر: ١٥ س.

المقياس: ١٩,٧ × ١٤ سم.

عدد الكلمات في السطر من (٧ ـ ١١) كلمة.

ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخه، ويبدو أن النسخة قد رُوجعت من قبل أحدهم، وعليها تمليكات، وكذا وقف باسم السلطان الغازي محمود خان.

وقبل أن أختم كلامي أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور خالد عبد الكريم جمعة الذي كان له فضل ظهور الكتاب ضمن مطبوعات مكتبة دار العروبة الغراء.

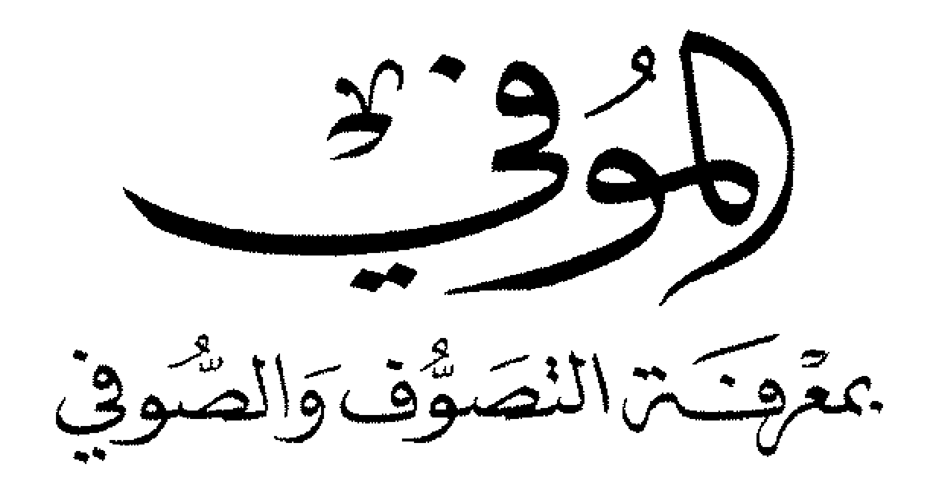
وإلى الأستاذ محمود الأرناؤوط الذي تولى تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب.

الكويت في ٢٧/ رجب /١٤٠٨ هـ
الموافق ١٥/ مارس /١٩٨٨ م

د. محمد عيسى صالحية

* * *

كتاب نادر في نقد الصوفية



تأليف

الإمام كمال الدين أبي الفضل
جعفر بن تعلب الأدفوي المصري
(٦٨٥ - ٧٤٨هـ)

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد عيسى صالحية

مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع
الكويت

الموفي بمعرفة التصوف والصوفي

سَمِعَ جَميع هذا الكِتابِ مِنْ لَفْظِ مؤلِّفِهِ الشَّيْخِ الإمامِ العَلاّمَةِ كَمالِ الدّينِ، أبي الفَضْلِ، جَعْفَرَ بنْ ثَعْلَبٍ الشّافِعِيّ الأُدْفويّ نَفَعَ اللهُ به، بحُضور سَيّدنا وشَيْخنا الأُستاذِ الإمامِ العَلاّمَة وحَيدِ دَهْرِهِ، وفَريدِ عَصْرِهِ، وَنَسيجِ وَحْدِهِ، أُعْجوبة الزّمان، أثير الدّين، أبي حيّان، مُحمّد بن عليّ بن يوسف بن حيّان[1]، فسح الله في مُدَّته صالحُ بن عبدالله بن عبدالله الدّمشقيّ القَيْمري[2]، وذا خطّه وصحّ ذلك، يَوْمَ الاثنين ثامن عشر صفر سنة إحدى وأربعين وسبعماية، بمنزلِ شَيْخِنا أبي حيّان بالمدرسةِ الصالحيةِ[3] بين

---

(١) انظر ترجمته في، ابن حجر: الدرر الكامنة، ٣٠٢/٤، المَقّري: نفح الطيب، ٦٢٥/١، ابن خلدون: العبر، ١٤٤/٦، السيوطي: بغية الوعاة، ١٢١، ابن حزم: جمهرة الأنساب، ٤٦٤، الأدفوي: الطالع السعيد، المقدمة من (و-ي).

(٢) قال ابن حجر: (هو أحد طلبة الحديث المكثرين، اعتنى بالطلب، ودار على الشيوخ من بعد سنة (٣٠) فأكثر بمصر والإسكندرية ودمشق، انظر «الدرر الكامنة» (٢٠٢/١) و«ذيل العبر» للحسيني ص (٢٧١)

(٣) المدرسة الصالحية: بخُط بين القصريْن، بناها الملك نجم الدين أيوب، حيث ابتدأ في بنائها في ١٣ ذي الحجة سنة ٦٣٩ هـ، ورتب فيها دروس لفقهاء المذاهب الأربعة سنة ٦٤١ هـ، وذكر الأدفوي في الطالع السعيد في حوادث سنة ٧٢٤ هـ، أن أبا حيان كان يسكنها بتاريخ ١١ صفر سنة ٧٢٤ هـ، وقد ورد اسمها خطأ في الأصل، حيث ذكرها «الصلاحية»، انظر حولها، المقريزي: الخطط، ٣٤٧/٢، السيوطي: حسن =

القَصْرَيْن بالقاهِرةِ المَحْروسَة، وأجازا لي جَميعَ ما يَجوزُ لهما رِوايَتُهُ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ وصلّى على سيّدنا محمّدٍ وسلّمَ.

* * *

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمدُ لله العالمِ بما تُكنّه الضمائرُ، المُطّلعِ على ما تُبْديهِ الألسنَةُ وما تُخْفيهِ السرائرُ، المُنعمِ بتنوّعِ الطاعات ليأتيَ كلُّ أمْرٍ منها بما هوَ عليهِ قادرٌ، فَمنْ فاتَهُ نوعٌ منها، فهو على نَوْعٍ آخرَ مُثابر.

بَعَثَ مُحمداً من أكرمِ القبائلِ وأشرفِ العناصرِ، وجَعَلَهُ مُقدّماً في الفضلِ وإن كانَ وجُوْدُهُ في الزمنِ الآخر، وخصّه بأصحابٍ هم كالنجومِ الزّواهرِ، صَفْوَة الخَلْقِ، والقائمونَ بالحقِّ فعليهم تُعْقدُ الخناصرُ، فهمْ أهلُ الصفاءِ، وأربابُ الوفاء، وأكابرُ السّادات، وساداتُ الأكابرِ، فصلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِهِ، صلاةً يَحْصُلُ بها الأجرُ الجزيلُ الوافرُ، وتكسو بأحْسَنِ الملابسِ وأفخرِ المفاخر.

وَبَعْدُ: فإنهُ وَقعَ البحثُ في اسم التَصوُّفِ وحقيقةِ الصوفيِّ، ومَنْ يَسْتَحِقُّ رَيْعَ ما وُقِفَ أو وُصّي به للصوفية فهذِهِ ثلاثةُ مطالب.

المطلب الأول:

التّصَوُّف: وهو عبارةٌ عن قصدِ طريقِ طائفةٍ مخصوصةٍ سُمُّوا بالصُّوفيَّة، يُتَلَبَّسُ بها ٢ ب/ فَقيلَ فيه: إنه من باب تَفَعُّل، إذا دخَلَ في الفِعْلِ كَقَولكَ: تَقَمّصَ، إذا لبِسَ القميصَ.

قالَ الإمامُ الأُستاذُ أبو القاسم، عبدُ الكَريمِ بنُ هَـوَازِن القُشَيْري[1]

= المحاضرة، ٢/ ١٤٤، تاريخ الخلفاء، ٣٠٧، ابن حبيب: تذكرة النبيه، ١/ ٣٤٢، الأُدفوي: الطالع السعيد، ١٠٦.

(١) هـو عبد الكـريم بن هوازن بن عبـد الملك بن طلحـة النيسـابوري القشيـري =

ـ المُتَوصّلُ إلى طريقهم ـ:

«يُقالُ له مُتصوّف، والجَماعةُ مُتَصوّفة»[1].

قال: وليس لهذا الاسمِ من جهةِ العَرَبيَّة قياسٌ ولا اشتقاق، ولا ظهرَ فيه أثرٌ، فهو لَقَبٌ[2].

فهذا الكلام عليه من حَيث الوَضْعُ العُرْفيُّ، المصطلحُ عليه. وأمَّا أقْوالُ الناسِ في ذلِكَ، فَفيهِ مقالات:

قال أبو عثمان، سَعيدُ بنُ إسماعيلَ[3] ـ أحدُ أكابرِ هذهِ الطّائفةِ ـ:

التَصوُّفُ: الصُحْبَةُ مع الله بحُسنِ الأدَبِ ودَوَامِ الهَيْبَةِ والمُراقَبةِ، والصُحْبَة مع رسول الله باتّباعِ سُنَّته ولُزومِ ظاهِرِ العِلْم[4].

= (ت ٤٦٥ هـ)، من بني قشير بن كعب، أستاذ المتصوفة في وقته، من فقهاء الشافعية، محدث، مفسر، لغوي، شُهر برسالته في التصوف انظر، البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد ٨٣/١١، ابن خلكان: وفيات، ٣٧٥/٢، ٢٠٥/٣ (إحسان عباس). أبو الفيض: جمهرة الأولياء (أعلام الصوفية)، ١٤٦/٢ ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ٢٧١، السبكي: طبقات الشافعية، ١٥٣/٥، ابن خلدون: العبر، ٢٥٩/٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ٣١٩/٣ طبعة القدسي.

(١) وردت في الرسالة القشيرية، ٥٥٠/٢.

(٢) وردت في الرسالة القشيرية، ٥٥٠/٢ ولكن العبارة كانت «... والأظهر فيه أنه لقب».

(٣) هو أبو عثمان، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري (وفي بعض المصادر الجبري والأول هو الأصح) ت ٢٩٨ هـ، من الري، أقام بنيسابور، ونشر التصوف في خراسان، انظر ترجمته في، السُلَمي: طبقات الصوفية، ١٧٠/١، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ٢٤٤/١٠، ابن الجوزي: المنتظم، ١٠٦/٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٦٩/٢، البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد، ٩٩/٩، القُشيري: الرسالة، ١٣٦/١، الكلاباذي: التعرف، ٤٦، الشعراني: الطبقات، ٨٦/١، ابن العماد: شذرات، ٢٣٠/٢ طبعة القدسي.

(٤) وردت في الرسالة القشيرية، ١٣٨/١ ـ ١٣٩.

وقال أبو الحُسين، أحمْدُ بنُ مُحمدٍ النُّوري[1] ـ شيْخُ الطَّريقةِ ـ: التَّصوُّفُ تَرْكُ كلِّ حَظ للنَّفْسِ[2].

وقال أبو عَمْرو إسماعيل بن نُجيد[3]: التّصوف، الصّبر تحت الأَمْرِ والنَّهي[4].

وقال أبو محمدَ الجُريْري[5]: التَّصَوّفُ، الدّخولُ في كلّ خلقٍ سَنِيّ والخُروجُ من كُلّ خُلقٍ دنيّ[6].

---

(١) أبو الحسين، أحمد بن محمد بن عبد الصمد النوري ت ٢٩٥ هـ: بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصل، خراساني من أقران الجنيد، قال عنه الخطيب البغدادي: «هو أعلم العراقيين بلطائف القوم»، انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣٠/٥، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ٢٤٩/١٠ ـ ٢٥٥، ابن الجوزي: المنتظم، ٧٧/٦، السُّلَمي: طبقات الصوفية، ١٦٤، القشيري: الرسالة ١ك١٤٠ الكلاباذي: التعرف، ٤٢، الشعراني: طبقات، ٨٧/١.

(٢) وردت في الرسالة القشيرية، ١٤٠/١ (ط. مصر)، التعرف لمذهب أهل التصوف، ٣٤ وطبقات الصوفية، ١٦٦.

(٣) هو أبو عمرو، إسماعيل بن نُجيْد بن أحمد بن يوسف بن خالد السُّلَمي (ت ٣٦٦ هـ)، صوفي كبير الشأن، آخر من مات من أصحاب أبي عثمان، سعيد بن إسماعيل، انظر ترجمته، القشيري: الرسالة، ٢١٠/١، الحنبلي (ابن العماد): شذرات الذهب، ٥/٣، الشعراني: الطبقات، ١٢٠/١، ابن الجوزي: المنتظم، ٨٤/٧، السلمي: طبقات الصوفية، ٤٥٤ ـ ٤٥٧.

(٤) وردت في الرسالة القشيرية، ٢١٠/١.

(٥) هو أحمد بن محمد بن الحسين الجريري (ت ٣١١ هـ)، من كبار أصحاب الجنيد، أقعده الجنيد في مجلسه بوصية منه انظر، القشيري: الرسالة، ١٦٦/١، السلمي: طبقات الصوفية، ٢٥٩، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ٣٤٧/١٠، البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد، ٤٣٠/٤، الشعراني: الطبقات، ٩٤/١.

(٦) وردت في الرسالة القشيرية، ٥٥١/٢، واللمع للطوسي، ٤٥ وفيه مسندة عن محمد ابن أحمد بن يحيى الصوفي عن عبدالله بن علي التميمي عن أبي محمد الجُريري (سماعاً).

٣ أ/وقال محمد بنُ علي[١] ـ أحَدُ المشايخِ ـ : التَّصَوُّف أخلاقٌ كَريمةٌ[٢].

وقال أستاذُ الطائفةِ الجُنَيْدُ بنُ محمدٍ الفَقِيه[٣]: التَّصَوّفُ ذِكرٌ مَعَ اجتماعٍ، وَوَجْدٌ مع اسْتماعٍ، وعَمَلٌ مع اتِّباعٍ[٤].

المطلب الثاني:

في حقيقةِ الصُّوفيِّ، والكلامِ فيه في مَقامَين:

أحدُهما: في النِّسبةِ.

والثاني: في بَيانِ من تَصْدُقُ عَلَيْهِ النِّسبَةُ.

المقام الأول: النِّسبةُ:

قَالَ الأستاذُ القُشَيْريُّ: كانَ الناسُ بَعْدَ النبيِّ يُسَمَّوْنَ بالصحَّابَةِ؛ إذْ لا فَضيلةَ فَوْقَها، ثم من أدْرَكَ الصحَّابَةَ يُسمَّوْن تابِعين، ثم أتباعُ التّابعين، ثم

---

(١) هو محمد بن علي القصاب، أستاذ الجُنيد في التصوف، انظر الطوسي: اللمع، ٤٥ الرسالة القشيرية، ٥٥٣/٢.

(٢) وردت في الرسالة القشيرية ٥٥٢/٢ وتتمتها «ظهرت في زمان كريم، من رجل كريم، مع قوام كريم».

(٣) هو الجنيد بن محمد الفقيه، البغدادي، أبو القاسم الخراز، ت ٢٩٧ هـ، سيد الطائفة وإمام الصوفية في عصره، منشؤه ومولده بالعراق، أصله من نهاوند، كان على مذهب أبي ثور، إبراهيم بن خالد بن اليمان، الكلبي، لقب والده بالقواريري لاشتغاله ببيع الزجاج، حول ترجمته انظر، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ٢٥٥/١٠ ـ ٢٨٧، ابن الجوزي: المنتظم ١٠٥/٦، ابن خلكان: وفيات، ١٤٦/١، السبكي: طبقات، ٢٨/٢، الكلاباذي: التعرف، ١٣٢/١ـ ١٣٦ الشعراني: طبقات، ٨٤/١، البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد، ٢٤١/٧ ـ ٢٤٩، القشيري: الرسالة، ٣٣/١ (ط. مصر)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٧٣/١، ابن الأثير: البداية، ٦٢/٨.

(٤) وردت في الرسالة القشيرية، ٥٥٣/٢.

اخْتَلفَ الناسُ وتَبايَنَت المراتِبُ، فسُمِّي خواصُّ الناسِ مِمَّنْ لهم شِدَّةُ عنايةٍ بأَمرِ الدِّين، الزُّهادَ والعُبَّادَ.

ثم ظهرت البِدَعُ وحَصَلَ التَّداعِي بَيْنَ الفِرَق، فَانْفردَ خَواصُّ أَهْلِ السُّنَّة، المُراعونَ أنفسَهُمْ مع الله، الحافِظونَ قُلوبهم من طَوارِقِ الغَفْلَةِ باسمِ التَّصوُّفِ.

قال: واشْتُهِرَ هذا الاسم لهم قَبْلَ المئتيـن مِنَ الهجرة[1].

قَالَ: وكان أحمدُ بنُ حَنبْلٍ ـ رحمه الله ـ يقولُ لأبي حَمْزَةَ البَزّازِ البَغْدادِي[2]:

٣ ب/ما تَقولُ في هـذه المسألَـةِ يا صُـوفيّ. وكانَ فقيهـاً عالِمـاً بالقراءات[3].

ثمّ اختَلَف النّاسُ في أنّ هذه نِسبةٌ إلى ماذا؟ فقالَ بَعْضُهمْ: نسبةٌ إلى الصَّفـاء، لمّـا صَفَتْ قُلوبُهُم، وتَنَقّـتْ مِن الكـدوراتِ جُعلَتْ لَهمْ هـذه النِسبةُ[4].

قَالَ القُشَيْرِيُّ: وهٰذا بَعيدٌ من جهةِ اللُّغةِ.

وَكَـأَنَّـهُ استَبْعَـدَ من حيث أَنَّ النِّسبَـة إلى الصّفـاء، صَفَـويٌّ، ولكن يجوزُ أنْ يكونَ أصْلُهُ صَفويّاً، ثم حَصَلَ التَّغْييرُ من مُتداوِلي اللَّفْظِ.

---

(١) وردت في نقد العلم والعلماء «تلبيس إبليس لابن الجـوزي»، ١٧٣، الرسـالة القشيرية، ٢/٦١ ـ ٦٢.

(٢)أبو حمزة البزاز البغدادي، من أولاد عيسى بن أبان، كان عالماً بالقراءات، من أصحاب الجنيد، ولكنه مات قبل الجنيد، لا نعرف سنة وفاته بالضبط، انظر، البغدادي (الخطيب): تاريخ بغداد، ١/٣٩٠، السّلمي: طبقات، ٢٩٥، القشيري: الرسالة، ١/١٧٣، الشعراني: الطبقات ١/٩٩.

(٣) وردت في الرسالة القشيرية، ١/١٧٣.

(٤) وردت في التعرف لمذهب أهل التصوف، ٢٨.

وقَالَ بَعْضُهُم: نِسبَةٌ إلى الصُّفَّة، وذلكَ أنّهُم كانوا مُجرّدينَ من الحُظوظِ الدّنيويَّةِ، شابَهوا في حالِهِمْ حالَ أهل الصُّفَّةِ[١]، فَحَصلَت لهم هذه النّسبةُ.

واعتُرِضَ علىٰ هٰذا بأنّ النّسبة إلى الصُّفَّة، صَفِّيّ لا صوفيّ، ويُجابُ عنه بما أُجيبَ به عن الأوّل[٢].

وَقَالَ بَعْضُهم: نِسبةٌ إلى الصَّف، فَكأنهم بما تَعاطوه من الحِرْصِ على الفضلِ والأعْمالِ المُقرِّبة وَطَلب التَّقَدُّمِ إلى رضوان اللهِ ويعترض بما أُعتُرِض ٤ أ/وَيجابُ بِمِثِل ما أُجِيبَ بِهِ[٣].

---

(١) أهم الصّفة: جماعة من الفقراء كانوا يقيمون في صفة مسجد رسول الله ﷺ، التي جعلت لزهاد المسلمين، رغبوا عن عروض الدنيا. من أهم المصادر التي أرختهم: كتاب تاريخ أهل الصفة، لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ)، وكتاب التحفة في الكلام على أهل الصفة، لتقي الدين السُّبكي (ت ٧٥٦ هـ)، وقد أفرد عبد الرحمن بدوي فصلاً لهم في كتابه: تاريخ التصوف الإسلامي، ط. الكويت، ١٩٧٥ ص ١٢٧.

وقد وردت أخبارهم في: الطبقات لابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٣ نشرة سخاو، ومسند أحمد بن حنبل، وصحيح البخاري، ومسلم وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه، وكتاب اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي (١٣٢ - ١٣٤)، وكتاب التعرف، للكلاباذي، الباب الأول ص ٥، ط. مصر، وحلية الأولياء، لأبي نُعيم، ١/٣٣٧، ١/٢ - ٣٤) ط. مصر، وكشف المحجوب، للهجويري ٩٧ - ٩٩ (نشر زوكوفسكي) وإحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/١٦٧ ط. القاهرة ١٢٨٩ هـ، وتلبيس إبليس، لابن الجوزي، ١٧٦ ط. القاهرة، ١٩٢٨ م، أبو الفيض: جمهرة الأولياء، أهل الصفة، ١٣١، قاسم غني: تاريخ التصوف، ٦٠.

(٢) وردت في الرسالة القشيرية، ١/١٧٣، جمهرة الأولياء، وأعيان التصوف، لأبي الفيض، ١٥٣.

(٣) حول التعريفات انظر أيضاً:

القشيري: الرسالة القشيرية (ط. مصر)، ٢/٥٥٠ - ٥٥١، الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ٢٨، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ١٦٢.

وَقال بعَضُهُم: نِسْبةٌ إلى لِبْسِ الصوّف[1]، وهذا صحَيحٌ من حَيْثُ اللُّغَة، وَاعْتَرَضَ القُشَّيريُّ عَلَيه، بأنَّ القَوْمَ لم يَختصُّوا بِلبس الصّوفِ.

وَيُجـابُ بأنَّهُ الغالِب عَلَىٰ مَنْ طلبَ خُشونَةَ العَيْشِ والتَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيا. والتَّقشفِ فيها. من تركَ الناعمَ من الثيابِ، ويَقنَعُ بالخَشِنِ منها. ولبس الصوفِ والقطنِ غالبٌ في هٰذه الحالةِ. والصوفُ أغلبُ لعمومِ وجودِهِ، وخشونتُه أكثر من خشونةِ القطنِ.

وفي الحديث الصحيح من حديث أبي بردة، قالَ: أخرجتْ لنا عائشةُ كساءً غليظاً وإزاراً غليظاً، فقالت: قُبِضَ [رُوْحُ] رسولُ اللهِ في هٰذين[2].

وأخرجَ الترمذيّ من حديثِ عبدِالله بنِ مسعودٍ عن النبيّ قالَ: «كانَ على موسى يومَ كلَّمه ربُّه كساءُ صوفٍ وجبة صوفٍ، وكمةُ صوفٍ وسراويلُ صوفٍ[3].

ولذلك أيضاً منْ يأخذُ نفسَه بالإعراض عن الأمور الدنيوية من الأمم الماضية، يتّصفون بلبسِ الصُّوفِ كالرهبانِ وأشباهِهم حتّى لا يكادوا ينفَكُّونَ عنه.

وقالَ بعضهم: هو نسبةٌ إلى المصافَاةِ.

قال الشاعرُ: صافَى فَصُوفِيَ حتى لُقِّبَ الصوفي[4].

---

(١) انظر الكلاباذي: التعرف، ٢٩، ٣٠.

(٢) رواه البخاري رقم ٥٨١٧ في اللباس: باب الأكسية والخمائص، وفي الجهاد: باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه، ومسلم رقم (٢٠٨٠) في اللباس: باب التواضع في اللباس، وانظر «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/١٤١). (م).

(٣) رواه الترمذي رقم (١٧٣٤) في اللباس: باب ما جاء في لبس الصوف، وهو حديث ضعيف، وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير بتحقيق والدي الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (م).

(٤) انظر السبكي: معيد النعم، ١٧٣ وفيه:

فهو مصافٍ لمولاه بالخدمةِ والامتثالِ والإقبالِ علىٰ ما يُرضيهِ، والإعراض عن ما سواه، ومصافٍ للخلقِ باطِّراحِ ما في أيديهم، وتركِ الالتفاتِ إلىٰ ما هو محبوب. ٤ ب/عندهُم، فهوَ مصافٍ لهم، وهم مصافُونَ لَه، وهذا كما قيلَ في عصفورةِ الجنّة[1].

إنّها لمّا اجتَنبت بُرَّهم اجتَلَبت بِرَّهم، أو اجتنبَت حَبَّهم فاجتلبَت حُبَّهم.

وكذلك لمّا صافُوا الخَلقَ بتركِ ما في أيديهِمْ وعدم مزاحمتِهِمْ في أغراضهم وأعراضهم صافُوهم بمحبَّتِهم وإجلالهم وتعظيمهم وإكرامِهِمْ.

وقيلَ، نسبةٌ إلى صوفانة، وهي بقلةٌ تنبت بالصّحراءِ، فنُسبُوا إليها لأنهم اجتزأُوا باليَسيرِ وبما يُلتفَتُ إليه، قانعينَ ببقلة مُجتزئين بِها[2].

وقيل: نسبةٌ إلى صوفَة، وهي قبيلةٌ كانت تجيرُ الحاجَّ في الدّهرِ الأولِ، يُقالُ: أَجيري صوفَةَ[3]، فكانُوا ساداتِ النّاس ومنقذِيهِمْ، والمقتدىٰ

= تنازع الناس في الصوفيّ واختلفوا ... قدما وظنّوه مشتقاً من الصّوفِ
ولست أمنح هذا الاسم غير فتىً ... صافى فصوفي حتى سمّى الصوفي

(١) وردت في حياة الحيوان «عصفور الجنة» وتعني الخطاف، أوزوار الهند، وهو من الطيور التي تقطع المسافات البعيدة، رغبةً في القرب من الناس، وسمي بعصفور الجنة؛ لأنه زهد بما في أيدي الناس من الأقوات، فلا يأكل البر أو الحب، وإنما يقتات بالذباب والبعوض، وقد ورد في الشعر:

كن زاهداً فيما حوته يد الورىٰ ... تضحي إلى كلّ الأنام حبيبا
أوَ ما ترى الخطاف حرم زادهُم ... أضحى مقيماً في البيوت ربيبا

انظر الدميري: حياة الحيوان، ٢٩٣/١، الجاحظ: الحيوان، ٣٣٢/٣.

(٢) انظر، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ١٦٣ وفيه «أنها بقلة رغباء قصيرة، فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء».

وانظر أيضاً، الدمياطي: معجم أسماء النبات، ٨٩.

(٣) بنو صوفة: بطن من مضر من العدنانية، وهم بنو الغوث بن مر، كانوا يخدمون الكعبة =

بِهم، فلمَّا حصلَتْ لهذهِ الطائفةِ هٰذه الرُّتْبَةُ، نُسبُوا إلىٰ تلكَ القبيلةِ لمشاركتِهِمْ في التّقدُّمِ والاقتداءِ بفعلِهِمْ، ذكرَه أبُو نُعَيمٍ وغيرُه.

المقام الثاني:

في بيان من ينطلق عليه هٰذه النسبة.

وهي تطلقُ باعتبارَيْن:

أحدُهما، العرفُ، في لسانِ أهلِ الطريقةِ الأقدَمِينَ،

الثاني، في العرفِ الخَاصّ في زمانِنا وما يقرُبُ منْهُ ٥ أ/فأمّا الأقدَمُون، فاختلَفتْ عباراتُهم في ذلك، والمعنىٰ واحدٌ أو متقاربٌ.

سُئِلَ النُّوري عن الصُّوفي، فقالَ: من سمعَ السَّماعَ وآثَرَ تَرْكَ الأسبابِ.

وسُئل ابنُ الجلَّاءِ[1] عنهُ، فقالَ: لا نعرِفُهُ في شرطِ العِلْمِ، ولكنَّهُ فَقيرٌ مجرَّدٌ من الأسبابِ، وكانَ مع الله بِلاَ مَكان»[2].

= في الجاهلية ويفيضون بالحجاج من مزدلفة إلى منى، فلا يجوز أحد حتى يجوزوا، وكان أجيزي صوفة، ثم انقرضوا، انظر، ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ١٦١.

القلقشندي: نهاية الأرب، ٣١٧، ابن منظور: لسان العرب، ١٠٣/١١، ابن خلدون: العبر، ٣١٩/٢، النويري: نهاية الأرب، ٣٤٤/٢.

(١) ابن الجلاء (أحمد بن يحيى الجلاء، أبو عبدالله) ت ٣٠٦ هـ، بغدادي الأصل، أقام بالرملة ودمشق، من أئمة التصوف الثلاثة بالإضافة إلى الجنيد في بغداد، وأبي عثمان في نيسابور، ولقب بالجلاء لأنه «إذا تكلم جلا القلوب وإذا وعظ أتى بالمطلوب»، انظر، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ٣١٤/١٠، ابن الجوزي: المنتظم، ١٤٨/٦، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٢١٣/٥، السلمي: طبقات، ١٧٦، الشعراني: طبقات، ٨٧/١، المناوي: الكواكب الدرية، ١٥/٢ القشيري: الرسالة، ١٤٢/١ ـ ١٤٣.

(٢) وردت العبارة في الرسالة القشيرية ٥٥٦/٢. وفيه «سمعت أبا حاتم السجستاني، سمعت أبا نصر السراج يقول، سئل ابن الجلاء، ما معنى قولهم صوفي؟ =

وقالَ شيخُ دهرِه وفريدُد عصره، أبو الحسنِ ابنُ الصَّبّاغِ القُوصيّ؛ الصُّوفي[1]؛ الذي يُقيلُ العثْرةَ، ويستُرُ الزلَّةَ ويسُدُّ الخلَّة[2].

وذكرَ أبو محمدٍ، عبدُ اللَّطيف بنُ أبي طاهر الترسي البغدادي المعروف بالمُطَجَّنِ[3] في كتابه «الدليل في الطريق»؛ أنَّه سألَ جَماعةً منْ أهلِ العِلْم والتصوُّف عنِ الصُّوفي، فذَكرَ كلٌّ منْهُم مقالاً.

قالَ الشيخُ أحمدُ الرِّفاعي[4] ـ وكانَ فَقِيهاً شافِعِيَّ المذْهبِ ـ: مَنْ وَفَّى جميعَ المَطْلُوباتِ وَصَفِيَ مِنْ جميعِ الكَدَراتِ.

= فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى صوفياً.

(١) هو علي بن حميد بن إسماعيل بن يوسف، الشيخ أبو الحسن بن الصباغ القوصي ت ٦١٢ هـ أو ٦١٣ هـ، شيخ الدهر في التصوف، باتفاق جميع المراجع التي ترجمت له، نوبي على الأغلب، صحب الشيخ عبد الرحيم بن أحمد بن حجون المغربي، شهر أمره في صعيد مصر، نشأ في بيت وسط الحال، تصدى للتدريس والإملاء، برع في الفقه، وانتهت إليه رئاسة المتصوفة، توفي بقنا من صعيد مصر الأعلى ودفن برباطه بها، انظر، الأدفوي: الطالع السعيد، ٣٨٣، الشطنوفي: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ٢٢١، ط. مصر سنة ١٣٠٤ هـ، السيوطي: حسن المحاضرة، ١/٢٢٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥/٥٢، ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ٦/٢١٥، اليافعي: مرآة الجنان، ٤/٢٤ علي صافي حسين: الأدب الصوفي في مصر، ابن الصباغ القوصي، ط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م المنذري: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق د. بشار عواد ط. مؤسسة الرسالة، ٢/٣٤٠.

(٢) وردت العبارة في الطالع السعيد، ٣٨٣.

(٣) هو أبو محمد، عبد اللطيف بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي البغدادي (ت بإشبيلية بعد سنة ٦١٥ هـ) انظر، إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون، ٣/٤٧٩ هـ.

(٤) هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس (ت ٥٧٨ هـ)، ولد في قرية حسن من أعمال واسط بالعراق، وتفقه بها وتصوف، كان يسكن قرية أم عبيدة =

وقالَ الشَّيخُ ابنُ الخطيبِ: الصُّوفي؛ هوَ منْ قلبُهُ بالمحَبَّةِ مملوءٌ ولسانُهُ بالمعْرِفةِ يَتْلُو.

وقالَ الشيخُ محمدُ بنُ الباقلاني[1]: هو منْ يبذُلُ الطَّعامَ، ويكونُ عذبَ الطَّعامِ، ويَصُومُ النَّهارَ ويتهجَّدُ باللَّيلِ والناسُ نِيَام.

وقالَ الشيخُ عليُّ بنُ البُوقيّ: هوَ منْ يقِفُ مع الشَّرعِ، ويَزْهَدُ في الطَّبع.

وقالَ الشيخُ رمضانُ ٥ ب/ الكُرديّ: هوَ منْ صَفَا سِرُّه مع الحَقِّ، وحَسُنَتْ علانِيَتُه معَ الخَلْقِ.

وقالَ الشيخُ أحمدُ البَقْلِيُّ: هوَ منْ قلبُه خالٍ منَ الإراداتِ، وجوارِحُهُ مُشتغلَةٌ بالعِباداتِ، فانٍ في اللهِ عنْ جميعِ الموجوداتِ، سليمٌ من الهَفَواتِ.

= بأرض البطائح (بين واسط والبصرة)، وأسس الطريقة الرفاعيّة، له رحيق الكوثر (رسالة في أقواله) انظر، ابن خلكان، وفيات: ١/٥٥، الشعراني: الطبقات ١/١٤، الزركلي: الأعلام، ١/١٧٤، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٣١٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٤/٢٥٩.

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، أبو جعفر ت ٤٠٣ هـ ولد في البصرة وتوفي في بغداد، من علماء الكلام، انتهت إليه رئاسة الأشاعرة، كانت له مناظرات في القسطنطينية مع علماء النصرانية حين وجهه عضد الدولة سفيراً إلى ملك الروم، من كتبه «إعجاز القرآن والإنصاف ومناقب الأئمة وغيرها» حول ترجمته انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/٤٨١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٥/٣٧٩، الزركلي: الأعلام، ٦/١٧٧. الباقلاني: كتاب البيان عن الفرق، تحقيق رتشرد مكارثي، ط. المكتبة الشرقية، ١٩٥٨ (المقدمة).

وقالَ الشيخُ حسنُ الفارِسي[1]: هوَ من يلاحِظُ أسرارَ القُرآنِ، ويُعادي الشيطانَ، ويكفُّ لسانَهُ عن الكَلامِ، ويرجعُ علىٰ نفْسِهِ بالمَلاَمِ، ويتهجَّدُ باللَّيلِ، والناسُ نِيام.

وقالَ صاحبُ الكَراماتِ عبدُ الملكِ العطَّار: هوَ منْ طَلَبَ الحَلالَ، وصحِبَ الرِّجالَ، وكفَّ لسانَهُ عنِ المقالِ، فتخبِر عنهُ الحَالُ.

وقالَ أبو الفضلِ، ابنُ أبي سعيد: هوَ منْ يجودُ بالموجـوداتِ ولا يَخطُر ببَالِه شيءٌ مفقودٌ، ولا يكونُ في حقِّ الإخوانِ بالحَقُودِ، وهوَلَهُم خَدومٌ وَدودٌ، وإذا تركَ الدُّنيَا فإليْهَا لاَ يَعودُ.

وقالَ الحافِظُ، أبو الفرجِ عبدُ الرحمن بنُ الجوزيّ الفقيه[2]: هو مَن زهدَ في الإراداتِ، وتركَ الشَّهواتِ٦ أ/، واستدركَ من عُمره ما فاتَ، وأَحيا منهُ ما ماتَ، وصانَ خاطِرَهُ من الشَّتاتِ، واتَّقىٰ ربَّهُ إلى المَمَاتِ.

---

(١) هو الحسن بن الخطير بن أبي الحسين النعماني الفارسي (ت ٥٩٨ هـ)، ينسب إلى النعمانية، قرية بين بغداد وواسط، وإلى جده النعمان بن المنذر، ويقال له الفارسي؛ لأنه تفقه بشيراز على مذهب أبي حنيفة، كان مبرزاً في النحو والعروض والقوافي والشعر والأخبار، عالماً بتفسير القرآن والفقه وعلم الكلام والحساب والمنطق والهيئة والطب، انظر، السيوطي: بغية الوعاة، ٥٠٢/١.

(٢) ابن الجوزي: (عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)، حنبلي، محدّث، حافظ، مفسر، فقيه، مؤرخ، معروف، أديب، انظر، ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ٣٩٩/١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٧٤/٦، السيوطي: طبقات المفسرين، ١٧، ابن الأثير: الكامل، ٧١/١٢، ابن خلكان: وفيات، ١٤٠/٣، ابن خلدون: العبر، ٢٩٧/٤.

وقالَ الشريفُ أبو الفُتوحِ الصُّوفي[1]: من لازَمَ في سائرِ أوقاتِهِ التّقوىٰ وصبرَ علىٰ البَلْوىٰ، واستوىٰ وقتُه معَ اللهِ في السّرِّ والنّجوىٰ.

وقالَ الشيخُ الموفَّقُ البغْدادي الحافِظُ: هو مَنْ يكونُ في حركاتِهِ السّهلُ السَّفُوحِ، وعنْ زلّاتِ إخوانِهِ الصّفوحُ، وعلىٰ دينِهِ يبكي ويَنُوحُ.

وقالَ الشيخُ مهذَّبُ الدّين أبو المظفَّر الدُّوري[2]: هو مَنْ بالشَّرعِ تأدَّب، وبالطَّريقةِ تهذَّب، ونفسَهُ بالمُجاهَدَةِ عذَّبَ، واشتغلَ بِذكرِ الحَقِّ عنِ الأُمِّ والأَب.

فهٰذهِ أَقوالُ أهلِ الطَّريقِ وأصحابِ العلمِ والتَّحقيقِ، ومدارُها كلُّها علىٰ أنّ الصّوفيَّ هوَ مَنْ اتَّصفَ بالصِّفاتِ المحمُودةِ في الشَّرعِ، وتخلّقَ بالأخلاقِ الممدوحةِ، وإنْ بَعُدَ مِنها الطَّبعُ، مُعرِضٌ عنِ الدُّنيا، مقبِلٌ علىٰ الأُخرىٰ، سالكٌ الطّريقَ التي هي أولىٰ بالمَرءِ وأحرىٰ.

وأما ٦ ب/ العرفُ الخاصُّ، فهوَ ما رسمتُهُ في كتاب «الإسعاف» وأكثرُ

---

(١) أبو الفتوح الصوفي: هو السيد أبو الفتوح المرتضى بن الحسن بن خليفة الحسن الصوفي، من أهل الري، خادم رباط بختيار الصوفي وختنه، سمع بأصبهان أبا علي الحسن بن أحمد الحداد، سمع منه عبد الكريم السمعاني انظر، السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ٢/٢٩٣، معجم الشيوخ، ورقة ٢٥٩ أ، نسخة أحمد الثالث - إستانبول رقم ٢٩٥٣، منه ميكروفلم في معهد إحياء المخطوطات بالقاهرة رقم ١٦٤.

(٢) هو محمد بن علي بن نصر البَل الدوري (ت ٥٩٨ هـ)، أبو المظفر، واعظ، ولد بالدور (أي دور الوزير ابن هبيرة) بدُجيل سنة ٥١٦ هـ أو ٥١٧ هـ، ونشأ بها، قدم بغداد في شبيبته، اشتهر بالوعظ حتى صار يضاهي أبا الفرج بن الجوزي ويزاحمه، وكان يعظ عند تربة أم الخليفة الناصر سنة ٥٨٩ هـ، انظر البغدادي (عبد الرحمن بن أحمد)، ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ٤/٧٤ - ٧٦.

مـا يطلقُ علىٰ منْ يَلبَسُ لِبْسةً مخْصوصةً منْ دَلقٍ[1] أو فُرْجيَّـة[2] أو (جلنك)[3]، ولَهُ عِمامَةٌ لَطيفَةٌ يُرخي مِنْهَا عَذْبَةً[4] قصيرَةً منْ قُدّامِه، ويحضُرُ في الخَانقَاه بَعدَ العصْرِ ليحضُرَ القِراءَة والذِّكرَ، غيرُ متعاطٍ للحِرَفِ الدُّنيئَةِ منَ الحِياكَةِ والحِجَامةِ وشِبْهِهَا، غَيرُ موصوفٍ بالثَّروةِ.

المطلب الثالث:

من يستحقُّ من الوقفِ والوصيةِ للصُّوفيةِ:

إذا صحَّحْنَا ذلكَ، فإنَّه منَ الفُقَهاءِ مَنْ قالَ: لا يَصِحُّ لِعَدَمِ ضَبْطِهِ ووقوفِهِ عندَ حَدٍّ، ولا شَكَّ أَنَّ هذا هوَ الظَّاهِرُ، إذا جعلنَا التصوفَ راجعاً إلىٰ الأخلاقِ وصِفَاتِ النَّفسِ المحمودَةِ، فإنّا لا مطلَعَ لَنا علىٰ البَوَاطِنِ والظواهِرِ التي تدلُّ علىٰ ذلكَ، قدْ تكونُ مطابِقَةً لمَا في الباطِنِ، وقد لَا تكونُ، كما قالَ: «إنَّ الرّجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ فيما يبدُو للنَّاسِ، وهو منْ أهلِ النَّارِ»[5].

---

(1) الدلق: سبق شرحه في ص ٢١ حاشية (٣).

(2) فرجيه: ثوب فضفاض، له كمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلاً أطراف الأصابع، وقد يكون لها ذيل يُرخىٰ من فوق الرأس. انظر دوزي: الملابس، المنشور في اللسان العربي، ص ١٦٦ ـ ١٦٩، ماير: الملابس المملوكية، ٩٣، ابن الفرات: تاريخ، ج ٩ ص ٤٦٠.

(3) كلمة غير مقروءة ورسمها «حلنك» ولعلها «جلباب» أو حلتك، ويكون عادة من صوف الخرفان.

(4) عذبة أي طرف تسترسل على الملابس، انظر السيوطي: حسن المحاضرة، ٢١٨/٢.

(5) قطعة من حديث طويل رواه البخاري رقم (٣٢٠٨) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ومسلم رقم (٢٦٤٣) في القدر: باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وانظر تتمة تخريجه والتعليق عليه في كتابي «شرح الأربعين النووية» طبع دار ابن كثير بدمشق ص (٢٣ ـ ٢٥) (م).

ولم يَرِدْ لَنَا من الشَّرعِ في ذلك حتّى نُنيطَ الحُكمَ بالأسبابِ ٧ أ/ الظَّاهِرَةِ، وقد بيَّنَّا أنَّ اسمَ الصّوفيَّةِ حادثٌ بعدَ النبيِّ والصَّحابةِ والتَّابعينَ وأتباعِ التَّابعين، والأصل في الأحكامِ الشّرعيَّةِ أن تُنَاطَ بأمرٍ منضَبِط، وإنَّما يخرجُ عنْ هـذا حيثُ طلبَ الشرعُ منَّا فِعلاً ووجدناهُ لا يرتبِطُ بأمرٍ مضبوطٍ، فننيطُ الحكمَ بأمرٍ يدلُّ علىٰ ذلك دلالةً طيِّبةً لأجلِ طلبِ الشّارعِ. ولم يَرِدْ في الشرعِ الوقفُ على الصُّوفيةِ ولا الوصيَّةُ لهُم. ولعلَّه حدثَ بعدَ انقراضِ الأعصارِ المبارَكةِ، وذهابِ أئمَّةِ الاجتهادِ، فلَا وقفتُ عليهِ لأحدٍ قبلَ الأربعِ مئة.

ثم إنَّ ما نربطُه بهِ منَ الظَّاهرِ لا يرفَعُ التَّنازُعَ والاختلافَ لاضطرابِهِ، فبعضُهُم يقولُ: هٰذا القدرُ كافٍ. وبعضُهمْ يقولُ: لا يكفي، بل لا بدَّ من اعتبارِ أمورٍ، وذلكَ مبطلٌ، كما إذا اضطربَ العُرفُ في مسائلِ الإجارة والمساقاةِ، فإنَّه يجبُ البيانُ وإلاّ بَطُلَ.

ومنْ ذلكَ مسألةُ الحبرِ، هلْ هُوَ على النَّاسخِ أم لا؟ وشَبَهُه.

٧ ب/ ومن صحَّ في غالبِ الأوقاتِ، هلِ المرادُ اللَّيلُ أو النهارُ، أو الليلُ والنهارُ، والجزمُ بواحدٍ منها يحتاجُ إلىٰ تحريرٍ، وهذا سببٌ يقتضي البُطلاَنَ، فإنَّ القولَ بالبطلانِ متَّجهٌ[١]، وَهُـو اختيارُ الشيـخِ أبي محمّد الجُوَيني[٢] وبعضِ الحنفيَّةِ.

وبعض الحنفيَّةِ أيضاً يقولُ: إنَّ الأوصافَ التي ينـطبِقُ علَيْها اسمُ

---

(١) متجه أي له وجه.

(٢) أبو محمد الجويني: هو عبدالله بن يوسف بن عبدالله الجويني (ت ٤٣٨ هـ)، والد إمام الحرمين، ولد في جوين، له معرفة بالأصول والنحو والفقه والتفسير والأدب، انظر، السبكي: طبقات، ٧٣/٥، ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٢٥٠، الأشعري: تبيين كذب، ٢٥٧، ابن كثير: البداية والنهاية ٥٥/٢.

الصوفي في عُرفهم، لَا يصحُّ الوقفُ على المتَّصِف بها، ومثلُ هذا مَحكيٌّ عَنِ الشَّافعي، رحمَهُ الله، رأيتُ في جزءٍ من كلامِ المُزَنيّ[1] أنَّ الشافعيَّ سُئِلَ عنِ الصُّوفي، فقالَ: رجُلٌ أكولٌ جَهولٌ، كَثيرُ الفُضُولِ، وفي بعض طُرُقِهِ نؤوم.

وقدْ ساقَ مثلَهُ الحافظُ، أبو عبدِ الله بنُ النَّجَّارِ[2] عن الشَّافعيِّ: «. . . والوقفُ على المتَّصفِ بهٰذِه الصِّفات والوصيَّةُ لَهُ لا تَصحّ».

وأمَّا منْ قالَ يصحّ، فاختَلَفتْ آراؤُهم في المُستحِقّ.

فقالَ القاضي الحسينُ الشَّافعيّ في «تعليقته»[3]، إذا وُقفَ علىٰ الصُّوفيَّة صحَّ، ويصرف إلى المشتغل بالعبادَةِ في غالبِ الأوقَاتِ، فأمَّا منْ يشتغلُ بالأكلِ والسَّماعِ والرَّقصِ فَلَا. وتبعَهُ ٨ أ/ على ذلك أبو سعيدٍ المتولّي[4]

---

(١) المزنى هو إسماعيل بن يحيى، أبو إبراهيم ت ٢٦٤ هـ، له مختصر المزنى في فروع الشافعية طبع بهامش كتاب الأم للشافعي سنة ١٣٢١ هـ/ ١٩١٣، بالمطبعة الميرية الكبرى ببولاق انظر، ابن خلكان: وفيات، ٢١٧/٢ (ترجمة ٩٣). الحسيني، أبو بكر هداية الله، طبقات الشافعية، ٢٠.

(٢) هو الحافظ، محب الدين، أبو عبدالله، محمد بن محمود بن الحسن، المعروف بابن النجار البغدادي ت ٦٤٣ هـ، انظر ترجمته في، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢١٢/٤ (ط. حيدر أباد). ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٢٢٦/٥، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ٢٠٥، الكتبي: فوات الوفيات، ٥٢٢/٢ (ط. القاهرة).

(٣) القاضي الحسين: هو أبو علي، الحسين بن محمد بن أحمد المروروذي (ت ٤٦٢ هـ)، من كبار أصحاب القفال، يلقب بحبر الأمة، ومن كبار فقهاء الشافعية، له التعليقة المشهورة في الفقه، انظر، السبكي: طبقات ١٥٥/٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣١٠/٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٣٤/٢، ابن خلدون: العبر، ٢٤٩/٣.

(٤) هو أبو سعيد، عبد الرحمن بن مأمون بن علي بن إبراهيم النيسابوري (المتولي) =

وزادَ، فقالَ: يُصرفُ إلىٰ كلِّ منْ كانَ مشتغِلاً بالعباداتِ في غَالبِ أحوالِهِ، ويكونُ معرِضاً عنْ أُمورِ الدُّنيا، وتبعَهُ الرَّافعي[1].

وقَالَ قاضي القضاةِ، أبو محمَّدٍ الحارثي الحنبليّ الحافظ[2]، في «شرح المقنع»: «يصحُّ الوقفُ علىٰ الصُّوفيَّة، وهمْ المنقَطِعونَ للعبادةِ وتصفِيَةِ النَّفسِ من الأخلاقِ المذمُومةِ، ولم يعتبرْ هٰؤلاءِ الفقرَ والزي ولبسَ الخرقةِ منْ يدِ شيخٍ، ولا مخالطةَ الصوفيَّةِ في مساكنهِم في الخانقَاه، بل اقتصروا علىٰ ذكرِ ما ذَكرتُ، بل صرَّحَ الحارِثي فيهم، أنَّ الغِنىٰ والزيّ ولبس الخرقةِ من يدِ الشيخِ لا تُعْتَبر».

وقالَ بعضُ الحنفيَّةِ: «يصحُّ الوقفُ، ويُصرفُ إلىٰ مَنْ لا يملِكُ نصابَ الزَّكاةِ».

= ت ٤٧٨ هـ، فقيه، مناظر، عالم بالأصول، درس بالنظامية، صنف في الفوائد ومسائل الخلاف، وله التتمة، انظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣٥٨/٣، السبكي: طبقات، ١٠٦/٥.

ابن خلكان: وفيات، ١٣٣/٣، الحسيني: طبقات الشافعية ١٧٦، ابن الجوزي: المنتظم، ١٨/٩.

(١) الإمام الرافعي: هو شيخ الإسلام، عبد الكريم بن محمد بن الفضل القزويني (ت ٦٢٤ هـ)، من كبار فقهاء الشافعية، مفسر، محدث، له فتح العزيز في شرح الوجيز وشرح مسند الشافعي وغيرها انظر، ابن العماد: شذرات، ١٠٨/٥، السبكي: طبقات، ١١٩/٥، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ٧/٢، الحسيني: طبقات، ٢١٨ - ٢٢٠.

(٢) هو مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد بن عياش الحارثي، الحافظ، قاضي القضاة، أبو محمد (ت ٧١١ هـ) ولد سنة ٦٥٣ هـ، سمع من البرهان الحراني والرضى ابن البرهان، وجماعة من أصحاب الجوهري، شرح سنن أبي داود، وشرح قطعة من المقنع، والحارثي: نسبة إلى قرية الحارثيّة الواقعة غربي بغداد. انظر الأدفوي: الطالع السعيد، ١١٣، ابن رجب: طبقات الحنابلة، ٢٦٢/٤ـ ٢٦٤، والمقنع هو كتاب المقنع في الفقه للمحاملي (أحمد بن محمد بن أحمد الضبي) (ت ٤١٥ هـ)، =

وقالَ الغزالي في الإحياء[1]: «التصوُّف أمرٌ باطنٌ، لا يُطَّلَعُ عليهِ، فلا يمكنُ ربطُ الحُكْمِ بهِ، بل بأمورٍ ظاهرةٍ يعوّلُ عليْها أهلُ العرفِ في إطلاقِ اسمِ الصُّوفيّ. قالَ: «والضابطُ الكلِّي أنّ كل من هو بصفة إذا ٨ ب/ نزلَ الخانقاه التي للصُّوفيَّة.

لَم يكنْ نزولُهُ فيها واختلاطُه بِهِمْ منكراً عنـدَهم، فهوَ داخـلُ في غِمارِهم»[2]. وهٰذا الذي ذكرَهُ الغزالي لا يُناسِبُ تحقيقَهُ، لأنَّ كتابَ الإحياءِ ليس موضوعاً للتحقيقِ على طريقَةِ الفقهِ، وأكثرُهُ أو كثيرٌ منهُ مبنيٌّ على كلامٍ صوفيٍّ، وتصنيفُه في الفقه بعدَ ذلكَ، وقد أَحالَ في كتبِهِ الفقهية على أشياءَ ذكرَها في الإحياء، فقوله، أنه يُعدّ منكراً عندَهُم. والكلامُ في أَنّ الصوفيّ منْ هُوَ حتّى إذا عرفْنَاه اعتبرنَا إنكاره، وهوَ لم يبيّنْهُ قبلُ، وأَحالَ عليهِ، فهوَ عجيبٌ منهُ».

قالَ: «وأمّا من حيثُ التفصيلُ فيُلاحظُ فيهِ خمسُ صفاتٍ: الصلاحُ والفقرُ وزيُّ الصوفيَّةِ، وأنْ لَا يكونَ مشتغِلاً بحرفَةٍ، وأنْ يكونَ مخالِطاً لهم بطريقِ المساكنَةِ في الخانقاه»[3].

قال: «ثم بعضُ هٰذهِ الصفاتِ مِنْها ([4]) يوجِبُ زوالُها زوالَ الاسمِ، ومنها ما ينجبرُ بعضُه بالبعضِ، فالفسقُ يمنعُ الاستحقاقَ، فإنَّ الصوفيَّ في

= السيوطي: حسن المحاضرة، ٣٥٨/١، ابن العماد: الحنبلي: شذرات، ٢٨/٦.

(١) الغزالي: هو محمد بن محمد، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)، فيلسوف، متصوف، معروف، والإحياء هو كتاب إحياء علوم الدين، انظر، ابن العماد الحنبلي: ١٠/٤ - ١٣، الأشعري: تبيين: ٢٩١ - ٣٠٦، الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٠١/٤ - ١٨٢، الحسيني: طبقات الشافعية، ١٩٢.

(٢) وردت في إحياء علوم الدين، ١٥٣/٢.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) في الإحياء «مما يوجب».

الجملةِ عبارةٌ عنْ رجلٍ منْ أهلِ الصَّلَاحِ ٩ أ/ بصفةٍ مخصوصةٍ، فالذي يظهرُ فسقُه، وإنْ كانَ على زيِّهِمْ لا يستحقُّ ما وُصِّي بهِ للصُّوفيِّةِ، ولسنَا نعتبرُ فيهِ الصَّغائرَ.

وأمَّا الحرفةُ والاشتغالُ بالكتبِ فيمنعُ الاستحقاق، فالدهقانُ والعاملُ والتاجرُ والصايغُ[1] في حانوتِهِ أو دارِهِ، والأجيرُ الذي يخدمُ بأجرِهِ، كلُّ هؤلاءِ لا يستحقُّونَ من الموقوفِ على الصوفيَّةِ وَلا ينجَبِرُون بالزيِّ والمخالَطَةِ.

وأمَّا الوراقةُ والخياطةُ وما يقربُ منهُمَا ممَّا يَليقُ بالصُّوفيَّةِ تعاطيهَا، فإذا تعاطَاها لاَفي حانوتٍ ولاَ علىٰ جهةِ اكتسابٍ وحرفةٍ، فذلكَ لا يمنعُ الاستحقاقَ وينجبرُ بالمساكنَةِ معَ الاتِّصافِ ببقيةِ الصِّفاتِ، والقدرةِ علَيها منْ غيرِ مباشَرَةٍ لا تَمنَع.

وأمَّا الوعظُ والتدريسُ، فَلا يُنافي اسمَ التصوُّفِ إذا وُجِدَت بقيَّةُ الأوصافِ منَ الزِّيِّ والمساكَنَةِ والفَقرِ، إذ لاَ يتناقَضُ صوفيٌّ مُقْرِىءٌ، واعظٌ، عالمٌ، مدرِّسٌ[2]، كلُّ هٰذا لا يتناقَضُ، ويتناقَضُ أن يُقَالَ ٩ ب/ دهقانٌ أو تاجرٌ أو عامِلٌ.

وأما الفَقْرُ، فإنْ زالَ بِغِنىً مفرطٍ يُنسبُ الرجلُ بهِ إلى الثَّروةِ الظَّاهِرَةِ، فَيُمْنَعُ الاستحقاق وإنْ كانَ لَهُ مالٌ، ولكنْ لاَ يفي دخلُهُ بخرجِهِ، أو لَهُ مالٌ قاصِرٌ عن وجوبِ الزَّكاةِ. وإنْ لم يَكُنْ لَه خرجٌ لَمْ يُمْنَعْ الاستِحقَاق.

قالَ: وهذهِ أُمورٌ لاَ دليلَ علَيْهَا إلاَّ العَادَاتُ[3].

---

(١) في الإحياء «الصانع».

(٢) في الإحياء ٢/١٥٣ «وصوفي واعظ وصوفي عالم أو صوفي مدرس».

(٣)الإحياء ٢/١٥٣.

وأمَّا المُخالَطَةُ والمُساكَنَةُ فَلَهُ أثرٌ، ولكنْ منْ لا يُخالِطهمْ وهوَ في دارِهِ أو في مسجدٍ وَهوَ على زيِّهم ومتخلِّقٌ بأخلاقِهِمْ فهوَ شَريكٌ لهُمْ في الاستحقاقِ، وكانَ تركُ المخالطةِ يجبرُهُ (مُلازَمَةُ)[1] الزيّ، فإنْ لمْ يَكُنْ على زَيِّهم، ووُجِدَتْ بقيةُ الصِّفَات فَلَا يستحِقُّ إلاّ أن يكونَ يُساكِنُهُم في الرُّبط فينسحِبُ عليهِ حكمُهُم بالتَّبَعِيَّةِ.

قالَ: وأما لبس المرقّعِ منْ يدِ شيخٍ منْ مَشايِخِهمْ فليسَ شرطاً في الاستحقاقِ وعدمهِ لا يضرُّ معَ وجودِ بقيَّةِ الشرائطِ المذكُورةِ.

والسهروردي[2] أيضاً قالَ: الغزالي جعلَ لبسَ الخرقَةِ من شيخٍ وعدمِهِ سيَّان ثمّ قالَ الغزالي: وأما المتأَهِّلُ المتردِّدُ بينَ الرباطِ والمسكنِ فلاَ يخرجُ ١٠ أ/ عن جُملَتِهم[3].

قالَ: وللفقيهِ أن ينزلَ عندَهُم إذا كانَ على زيِّهم وأخلاقِهِمْ، وليسَ الجهلُ شرطاً في التَّصوُّفِ عندَ مَنْ يعرِفُ التَّصوُّفَ.

قالَ: ولا يُلتَفَتُ إلى خُرافاتِ بعضِ الحمْقىٰ، إنَّ العلمَ حجابٌ، فالجَهلُ هوَ الحجابُ»[4].

ـ هذا تمامُ كلامِ الغَزاليّ ـ.

(١) الإضافة من الإحياء، ٢/١٥٣.

(٢) هو عبد القاهر بن عبدالله بن محمد البكري الصدّيقي، أبو النجيب السهروردي (ت ٥٦٣ هـ)، فقيه شافعي، واعظ، متصوّف، سكن بغداد وبنيت له عدة ربط فيها، وتوفي ببغداد، له آداب المريدين، عوارف المعارف، انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/٢٩٤، السبكي: طبقات الشافعية، ٤/٢٥٦، الشعراني: طبقات، ١/١٤٠، حاجي خليفة: كشف الظنون، ١/٤٣، الذهبي: العبر، ٤/١٨١، ابن العماد الحنبلي: الشذرات، ٤/٢٠٨.

(٣) انظر إحياء علوم الدين، ٢/١٥٤.

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وهوَ في كثيرٍ منهُ لمْ يَجْرِ علىٰ القواعدِ الفِقهيَّة، وإنَّما مشىٰ فيهِ علىٰ الرسومِ المُحدَثةِ للصوفيَّةِ، وقدْ اعترفَ أنَّه لا دليلَ عليهِ إلا العاداتُ، فإن ادَّعىٰ أنَّ ذلكَ عادةٌ مطَّردَةٌ في الأزمنَةِ والأمكنَةِ فلاَ دَليلَ عليْهَا، وما قالَهُ غيرُ مسلَّمٍ بهِ، وإنِ ادَّعىٰ عادةً خاصَّةً بزمانٍ أو مكانٍ فهوَ عرفٌ خاصٌ، والعرفُ الخاصُّ لاَ اعتبارَ بهِ عندَ أهلِ الفَتْوىٰ.

ألا تَرىٰ أنَّ المساقاةَ عندَ أصحابِنَا محمولَةٌ على العُرْفِ، وجعلُوا البقرَ علىٰ المالكِ اعتباراً بالعُرْفِ العامِ في استِقْرائِهِم.

ثم إنَّ عُرفَ بلادِنا قاطبةً أنَّها على العاملِ، ولم يَلتفِتْ إلى هذا الخاص، بل نَصُّوا على أنَّها إذَا شُرِطَتْ على العاملِ بَطُلَ العقد، وأشباهُ ذلكَ كثيرٌ في أبوابٍ ١٠ ب/ متفرِّقَة.

ثم إنَّ العرفَ إذا وُجِدَ إنَّما يُعتَبَرُ حيثُ كانَ مُوافِقاً لِمَا دلَّت الأدِلَّةُ علىٰ اعتبارِهِ، وينتفِي المعارِضُ عنهُ من شرعٍ أو لغةٍ، ويكون عامّاً عندَ تلكَ الطَّائفةِ، وما ذكرهُ حادثٌ بعدَ الأربعِ مئة، وبعدَ مُضِيّ أهلِ الحقائقِ منْ هٰذهِ الطَّائفةِ الصُّوفيَّةِ، وأربابِ الرُّسومِ المرعيَّةِ، ولاَ اعتبارَ بمنْ حَدَثَ فَأحدث حدثاً، ونحن نَتكلَّمُ علىٰ تفاصيلِ ما ذكرهُ وفصَّلهُ وقرَّرهُ وأصَّلَهُ، فقولُه: إنَّه يعتبرُ الزيَّ، لا أصلَ لهُ منَ الشَّرعِ وَلَمْ ينقُل ذلك، ولا نقلَ عنِ الأقدَمِين المعتَبَرِينَ، بلِ الاقتصارُ عليهِ مخالفٌ، لِما كانَ عليهِ وأصحابُه، فقدْ لبِسَ جبَّةً ضيِّقَةَ الكُمَّيْنِ، ولبسَ حُلَّةً، وكانَ يتعمَّم بِعِمَامةٍ ويُرخي طَرفَها بينَ كَتِفَيْه، وتَحنَّكَ أيضاً بالعِمامةِ، ولبِسَ عِمامةً سوداءَ، وتردَّىٰ بِرِداء.

وكذلكَ الصَّحابة لبِسُوا أنواعاً مُختلِفَةً وتَطَيْلَسَ منهُم جماعةٌ، منهُم،

جابرُ بنُ عبدِالله[1] وجُبيرُ بنُ مُطعمٍ[2] .

وذكرَ الحافِظُ أبو عُمَرَ النمري[3] أنَّ بعضَ الصَّحابةِ كانَ ١١ أ/ يَتَطَيْلَسُ بِطَيْلَسانٍ[4] أخضرَ، ووردَ التَّقنُّعُ أيضاً ، وهو جعلُ الرِّداءِ على الرَّأسِ .

وأخرج التِّرمذيُّ في «جامِعِهِ» عنْ جُبيرِ بنِ مُطْعِم، أنّهُ قَالَ: «ركبْتُ الحمارَ، ولبِستُ الشَّملَةَ[5] وحلبْتُ الشاةَ». بَلْ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ من فعلَ هٰذا، فليسَ فيهِ مِنَ الكِبْرِ شيءٌ»[6]. وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

وقالَ السُّهرَوَرديُّ : ومنَ النّاسِ منْ لَا يَقْصِدُ لُبْسَ ثوبٍ بِعَيْنِهِ لا لِخُشونةٍ

---

(١) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري، من أهل بيعة الرضوان (ت ٧٧ هـ أو ٧٨ هـ). انظر، خليفة بن خياط: الطبقات ترجمة ٦٢٣، ابن الأثير: أسد الغابة، ١/٢٥٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/١٨٩.

(٢) جبير بن مطعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، شيخ قريش في زمانه، من الطلقاء الذين حسن إسلامهم (ت ٥٨ هـ أو ٥٩هـ)، انظر ابن حبيب: المحبر، ٦٧، ٦٩. ابن الأثير: أسد الغابة، ١/٣٢٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/٩٥.

(٣) هو ابن عبد البَرّ النمري: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، له الاستيعاب، وبهجة المجالس، وغيرها، انظر ابن خلكان: وفيات، ٧/٦٦، الضبي: بغية الملتمس، ٤٧٤، الزركلي: الأعلام، ٨/٢٤٠، الذهبي: العبر، ٣/٢٥٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣/٣١٤.

(٤) الطيلسان: قطعة قماش تلبس على الكتفين وتتدلى على شكل ذؤابتين وتكون طويلة، انظر دوزي: معجم الملابس ـ مادة طيلسان، ياقوت: معجم الأدباء، ١/٣٧٣، ٥/٢٦١.

(٥) الشملة: مثل الكساء، تلف حول الجسم كالإزار، وتكون طويلة أو قصيرة، انظر ابن منظور: لسان ـ مادة شمل، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٤/٨٣.

(٦) قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (٢٠٠٢) في البِرّ والصلة: باب ما جاء في الكِبْر، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال والدي حفظه الله عقب تخريجه في «جامع الأصول» (١٠/٦٢٣): وهو كما قال. (م).

وَلا لنعُومةٍ، بل يلبَسُ ما يَدخلُ عليهِ الحقُّ ويكونُ بحُكمِ الوقتِ، وَهٰذا حَسَنٌ[١].

قالَ: وكانَ شيخُنَا أبو النّجيبِ يلبَسُ ما اتَّفقَ، ولاَ يتقيَّدُ بهيئةٍ من الملبُوسِ وكانَ يلبَسُ العمَامةَ بعشرةِ دنانيرِ، ويلبس العِمامةَ بقليلٍ.

قال: وكانَ الشيخُ عبدُ القادرِ[٢] يلبَس هيئةً مَخْصوصَةً ويَتَطَيْلَسُ.

قال: وكانَ الشيخُ أبو السعودِ[٣] يُساقُ إليهِ ثوبٌ ناعمٌ فَيلبَسهُ، فيُقالُ: ربّما يُنكَرُ عليكَ، فيقولُ: لاَ نَلْقىٰ إلاَّ أحدَ رَجلَيْنِ، رجلٍ يطالبُنا بظاهِرِ الشّرعِ. فَنَقولُ لَهُ: هل ترىٰ الشَّرعَ يكرهُ هذا، ورجلٍ يُطالِبُنا بحقائقِ القَومِ، فنَقولُ لهُ: هلْ ترىٰ لَنا فيمَا لَبِسْنَا اخْتياراً[٤]. فالاقتصارُ على زيٍّ واحدٍ لا يفعَلُ غَيرُهُ فعلَ مَردودٍ علىٰ فاعِلِهِ محكومٍ ببُطلانِ أواخرِهِ وأوائِلِهِ، وليسَ فيهِ قُربَةٌ حتّى يُعتَبَرَ في الوقفِ علىٰ الجهةِ العامةِ.

وأمّا اشتراطُهُ ١١ ب/ الخِلْطَةَ والمُساكنةَ، فأيُّ شيءٍ دلَّ عليْهِ؟ فإنَّ

---

(١) وردت في عوارث المعارف، ٣٥٦.

(٢) هو عبد القادر بن موسىٰ بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني، محيي الدين الجيلاني (ت ٥٦١ هـ)، مؤسس الطريقة القادرية، زاهد، متصوف، ولد في جيلان - طبرستان - انتقل إلى بغداد، برع في الوعظ، انظر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣٧١/٥، الشعراني: الطبقات، ١٢٦/١، الكتبي: فوات الوفيات، ٢/٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ١٩٨/٤.

(٣) المقصود الشيخ، أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان بن الطيب الباذيني (ت ٦٤٤ هـ)، من واسط بالعراق - انتقل إلى مصر، وكان من أجلاء صوفية مصر، انظر الشعراني: طبقات، ١٦٢/١. السيوطي: من المحاضرة، ٢٩٧/١، ابن الملقن: طبقات الأولياء، ٤٠٦.

(٤) وردت في عوارف المعارف ٣٥٧ «ولكن بتصرف عند الأدفوي».

اسمَ التصوُّفِ والصُّوفيّ صادقٌ بدونِ ذلكَ، وَلاَ يَقُل[1] إنَّ الأقدَمِينَ اتَّصَفُوا بِها.

أمَّا المُساكنَةُ فلمْ تكُنْ ثَمَّ خانْقات[2] ولا رُبُطٌ للصُّوفيَّة، وإنَّما حدثَ ذلكَ بعدَ الأربعِ مئة وأمَّا المخالَطَةُ، فالسَّلَفُ اختلَفُوا في أنَّ العُزلةَ أفضَلُ أم لاَ؟.

قالَ أبو سعيد الخُدْريّ: سُئِلَ رسولُ الله، أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قالَ: «رجلٌ مجاهدٌ في سبيلِ اللهِ». قالُوا: ثُمَّ. قالَ: «ثُمَّ رجلٌ مؤمنٌ في شُعَبٍ مِنَ الشِّعابِ يَشْقَىٰ بِهِ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شرِّه» (حديث صحيح)[3].

ومنْ رجَّحَ مخالطَةَ النَّاسِ، لم يَقصُرْهُ على طائفةٍ مخصوصَةٍ، بلْ لا شكَّ أنَّ العُزلَةَ أرجحُ من مخالَطَةِ مَنْ أحدَثَ رُسُوماً، وجعلَها شَرعاً، وأيُّ شاهدٍ اعتبارُ منْ يلبسُ جُمجُماً[4] في رجلَيْهِ ويُصَيِّرُ عَذَبَتَهُ بين يديهِ أو لَهُ طَرطُورٌ طَويلٌ كأنَّهُ زَلُّومَةُ فيلٍ.

وقد ثبتَ في «صحيحِ مسلمٍ» أنَّ رَسُولَ اللهِ، قال: «إنَّ اللهَ لا ينظُرُ إلىٰ صورِكُم وأموالِكُمْ ولكِنْ ينظُرُ إلىٰ قُلوبِكُم وأعمالِكُم»[5]. فَشَيءٌ لا ينظرُ اللهُ إليه لا يكونُ شرطاً لاستحقاقِ ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إليهِ.

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) الأصح «خـوانق».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥٦/٣) وقد ذكره المؤلف بالمعنى وباختصار، وهو حديث ضعيف. (م).

(٤) الجمجم: ضرب من المكاييل، انظر اللسان ـ مادة ـ جمجم.

(٥) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في البر والصلة: باب تحريم الظن والتجسس والتنافس من حديث أبي هريرة. (م).

ثم إنَّ الزيَّ مختلِفٌ، قومٌ منهمْ لَهُمْ زيٌّ، وآخرون زيٌّ. وَهٰكذا دائماً في أماكِنَ مُختلِفَةٍ، فأيُّها المُعتَبرُ ١٢ أ/. وإذا اعتبَرنَا كلَّ إقليمٍ بزيِّهِ، فإذا وردَ أهلُ ذاكَ الإقليمِ إلى إقليمٍ آخرَ، هل يُلْزَمُون باتِّباعِ إقليمِهِمْ أو بالإقليمِ الذي انتَقَلُوا إليهِ؟ ويتسلسلُ، وكلُّ ذلكَ دليلٌ عليهِ. وأمَّا اشتِراطُ الفقرِ، فاللَّفظُ لا دلالَةَ لَهُ عَلَيْهِ، ولكِنَّ العُرْفَ مُشعِرٌ بِهِ، فيخرُجُ على ما إذا وَصَّى للأيْتامِ.

وقد قالَ الماوردي[1]: «والرِّواياتُ فيهِ أنّه إنْ وصَى لأيتامِ قَبيلةٍ معيَّنةٍ ولا يَشْترِطُ الفقرَ في أيتامِ تلكَ القبيلةِ، وإلاّ فوجهانِ، يُنْظَرُ في أحَدِهِما إلى اللَّفظِ، والآخرُ إلى العُرْفِ. فإنَّ العادةَ جاريةٌ في أنَّ الإنسانَ لا يُوصي للأيتامِ الَّذينَ لهمْ ثَروةٌ. وكذلكَ إذَا وَصَّى لأرامل قبيلةٍ، فَفيهِ ما ذكرنَاهُ. وكذلكَ الوصيَّةُ للزَّمْنَى، وقطعَ بَعضُهُم بأنَّه لا يشترِطُ الفَقْرَ. ومنهمْ منْ أجرى الخِلاَفَ.

وإنْ جعلْنا الصوفيةَ منسوبِينَ إلىٰ أهلِ الصُّفَةِ لمُشابَهَتِهم لَهُمْ في الأفعالِ والأحوالِ.

واشتراطُ الفقْرِ ظاهراً، مُرادُهُ، كانَ حالَ أهلِ الصُّفةِ الفَقْرُ، وكَذا إذَا جَعلْنَاهُم منسوبينَ إلى لُبسِ الصُّوفِ، فإنَّ لُبسَ الصُّوفِ في الغالبِ كانَ لأهلِ الفاقَةِ والمُتَقلِّلِينَ من الدُّنيا، الراغِبينَ عَنْها.

---

(١) الماوردي: (أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ)، ولد بالبصرة وتفقه بها، نبغ في الفقه بعد ارتحاله إلى بغداد، كان قاضي القضاة سنة ٤٢٩ هـ، كان موضع ثقة ملوك بني بوية حول سيرته انظر.

ابن الجوزي: المنتظم، ١٥١/٨، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ٩٠/٣. البغدادي: تاريخ بغداد، ١٠٢/١٢، السبكي: طبقات ٢٦٧/٥، ابن كثير: البداية، ٨٠/١١. ياقوت: معجم البلدان ٤٠٦/٥، الاسنوي: طبقات الشافعية (تحقيق عبدالله الجبوري، ط. بغداد سنة ١٩٧١ م).

وأمَّا الفُقَهاءُ والمُحدِّثونَ والمقرِئُونَ وغيرُهم ممَّا هوَ في مَعناهُمْ، فلا يشترطُ الفقر فيهم، إذ لَا نعرفُ فيهِ خِلافاً، بل يُعطىٰ مَنْ شملَهُ الاسمُ، فالصُّوفيُّ حقيقةً، أنَّه مُتخلِّقٌ بأخلاقٍ نفسانِيَّةٍ. والغَزاليُّ وافقَ ١٢ ب/ علىٰ ذلكَ، ولتلكَ الأخلاقِ أشياءُ في الظَّاهرِ تدلُّ عليْها، والفقرُ لَا يدلُّ عليهَا ولَا داخِلاً في حقيقَتِها العُرْفِيَّةِ.

وهٰذهِ الطائِفةُ قد استندتْ في طريقِها إلى عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ـ رضي اللهُ عنهُ ـ، وقَدْ ذكر الحافِظُ أبو محمَّدِ بنِ حزمٍ[1]، أنَّهُ كانَ غنيّاً، وأنَّه ما ماتَ إلَّا عن ثروةٍ. وآخرُ شيوخِ الطَّائفةِ، الإمامُ أبو حفْصٍ، عمرُ السُّهروَردي[2]. وقد ذكرَ النَّاسُ، أنَّهُ كانَ منْ أهلِ الثَّروةِ، وأنفقَ أموالاً في وجوهِ البِرِّ، وتولَّىٰ مواضِعَ، وأرسلَ رسولاً عنِ الخِلَافةِ وغيرَ ذلكَ، ولكنَّ العُرْفَ مُخَصِّصٌ، وَظاهِرُ الوقفِ عليهِم، فَضْلَةُ الفقرِ.

وأمَّا الحِرَفُ والاكتِسابُ، فالحِرَفُ مختلِفَةٌ، مِنْها ما هُوَ ممدوحٌ، كالتَّدريسِ وأشباهِهِ، فلا يُخْتَلَفُ في أنَّ هٰذا لا يمنعُ الاتِّصافُ بهِ الاستِحقَاقَ، ومنهَا ما يُنسَبُ مُتَعاطِيهِ في العُرْفِ إلى دناءةٍ كالحجَّامِ والقَمَّامِ، وهٰذا قَد يُقالُ في الصُّوفيِّ: إنَّ اختيارَهُ حِرفةً دنيئةً يُنافي التصوُّفَ، وقد اعتبرَ

---

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، أبو محمد ت ٤٥٦ هـ، فقيه، أديب، أصولي، محدث، حافظ، متكلم، أديب مشارك في التاريخ والأنساب والنحو واللغة والشعر والطب والمنطق والفلسفة، معروف مشهور، انظر، ياقوت: معجم الأدباء، ١٢/٢٣٥، كحالة: معجم المؤلفين، ٧/١٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٨/١٨٤، القفطي: تاريخ الحكماء ٢٣٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/٣٢٥.

(٢) هو شهاب الدين، أبو حفص عمر بن محمد بن عموية السهروردي ت ٦٣٢ هـ، شافعي المذهب، تخرج عليه خلق كثير من الصوفية، صحب أبا النجيب السهروردي (عمه) والشيخ عبد القادر الجيلاني، صاحب عوارف المعارف، انظر، أبو الفيض: جمهرة الأولياء ٢/٢٠٠، الأسنوي: طبقات الشافعية ٢/٦٣.

الفقهاءُ ذلكَ في الشهادةِ؛ فقد رجَّح جماعةٌ منهُم قبولَ شَهادَةِ منْ يتعاطَى حرفةً دنيئةً، وفيهِ وُجوهٌ وتفاصيلُ، مذكورةٌ في كتب الفقهِ

ومنهَا ما هوَ مُتوسِّطٌ بينهُما كالوِرَاقةِ والخِيَاطَةِ وشَبَهِهِمَا، ولكنَّ القيامَ بِها من فروضِ ١٣ أ/ الكِفايةِ، وليسَ تَعاطِيها دَناءَةً، فالمُتَّصِفُ بِها لا يَخلو مِنْ أمرَيْن:

إمَّا أن يكونَ مستغنياً عنْها بأَنْ يكونَ لَهُ غِنىً أو معلومٌ في الخانقاه، أو في وظائفِ العلمِ تُغنيهِ عنْ تعاطِيها أو يكونَ محتاجاً إليها للقيامِ بنفسهِ إنْ كانَ منفرِداً أو بِعيالِهِ، فإنْ كانَ مستغنياً فتعاطِيها في الحَانُوتِ أو الكسبِ بها يُؤَثِّر في منعِ الاستِحقاقِ لأنَّ فيهِ طلباً لِزيادَةِ مالٍ، والتصوُّفُ مبناهُ على التَّقلُّلِ منَ الدُّنيا، وقد قالَ: «اللَّهُمَّ اجعلْ رزقَ آلِ محمدٍ قوتاً»[1]، وقال: «يدخُلُ الفقراءُ قبلَ الأغنياءِ الجنةَ بخمسِ مئة عامٍ»[2].

وإنْ كانَ محتاجاً إليهَا فالشَّرعُ طلبَ منهُ الاكتسابَ، وقالَ: «لأنْ يأخُذَ أحدُكُمْ حبلةً علىٰ عَاتِقِهِ فيحتَطِبَ خيرٌ لهُ»[3] ـ الحديث ـ.

وَقـالَ: «كفى المرءَ إثماً أن يُضيِّعَ من يَقُوتُ»[4]. وفي لفظٍ: «من

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٥٠) في الرقاق: باب كيف كان عيش النبي ﷺ، ومسلم رقم (١٠٥٥) في الزهد، وانظر تتمة تخريجه في «جامع الأصول» (٤/ ٦٧١). (م).

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٣٥٤) في الزهد: باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وهو حديث حسن. وانظر «جامع الأصول» (٤/ ٦٧٣) (م).

(٣) رواه البخاري رقم (١٤٧٠) في الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة، و(١٤٨٠) باب قول الله تعالى: ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ [البقرة: ٢٧٣] و(٢٠٧٤) في البيوع: باب كسب الرجل وعمله بيده، و(٢٣٧٤) في المساقاة: باب بيع الحطب والكلأ، ومسلم رقم (١٠٤٢) في الزكاة: باب كراهة مسألة الناس. (م).

(٤) حديث صحيح رواه مسلم رقم (٩٩٦) في الزكاة: باب فضل النفقة على العيال، وأبو داود رقم (١٦٩٢) في الزكاة: باب صلة الرحم. ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠ =

يعول»[1].

وقالَ: «خيرُ ما أكلَ المرءُ من كسبِ يدِه»[2].

فهٰذا عامٌّ في الكسبِ فَلَا يتَّجِهُ منعُهُ منَ الاستِحقَاقِ بذلكَ، وَكذَا قوله في الأجيرِ إنَّه يُمنَعُ ١٣ ب/ الاستِحقَاقَ، كلامٌ ساقِطٌ إذَا كانَ محتاجاً إلى ذلك. كيفَ وَقَدْ أُجِّرَ موسى نَفسَهُ، والنبيُّ قال، إنَّهُ كانَ يرعى لأهلِ مكة على قراريطَ قبلَ النُّبُوَّةِ، وعليٌّ أجّر نفسَهُ.

وذكرَ القُشَيريُّ عن كَبيرِ الطَّائفةِ، إبراهيمَ بنِ أدهمَ[3]، أنَّهُ كانَ يأكلُ من عملِ يدهِ من الحصَادِ وحفظِ البَساتين[4].

= و١٩٣ و١٩٤ و١٩٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٦٧/٧) والحاكم في «المستدرك» (٤١٥/١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥/٩) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه كما في «مجمع الزوائد» والنسائي في «عِشرة النساء» من «السنن الكبرى» رقم (٢٩٥) المطبوع في القاهرة. (م).

(١) رواه بهذا اللفظ النسائي في «عشرة النساء» من «السنن الكبرى» رقم (٢٩٤) المطبوع في القاهرة، والحاكم في «المستدرك» (٥٠٠/٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (م).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢١٣٨) في: التجارات: باب الحث على المكاسب من حديث المقدام بن معدي كرب الزّبيدي رضي الله عنه ولفظه عنده: «ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده...» الحديث وقد ذكره المؤلف بالمعنى. (م).

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور، من كورة بلخ، رحل في العراق والشام والحجاز (من كبار الصوفية)، القشيري: الرسالة، ٦٣/١، الكلاباذي: التعرف، ٣٧، الشعراني: الطبقات، ٦٩/١، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٦٧/٧ - ٣٩٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ٢٥٥/١، الكتبي، فوات الوفيات، ٣/١، السُّلمي: طبقات الصوفية، ٣٠.

(٤) وردت في الرسالة القشيرية، ٦٤/١.

وقالَ السُّهروردي عن هذه الطَّائِفَةِ: إنَّ منهمْ منْ كانَ يكتسِبُ، ومنهمْ منْ كانَ يسألُ، وجعلَ ذلكَ بحسبِ الحالِ، واستقصاءُ ذلكَ يطولُ.

فهٰذا الكلامُ على تفصيلِ ما فصَّلَ، وقدْ بيَّنا بُطلانَهُ منْ جهةِ الاستدلالِ من حيثُ النَّقلُ فهوَ مخالِفٌ لِمَا في كُتبِ الأحكامِ لطَوائفِ فُقَهاءِ الحُكَّامِ، الذينَ نَصُّوا على المسألةِ والسَّلام.

وقدْ استَدَلَّ بعضُهم على أَنَّ الغنيَّ لا يمنع، فحديثُ الأغنياء حَيْثُ جاءَ الفُقَراءُ إلى رسولِ اللهِ فقالَ: «ذَهَب أهلُ الدُّثورِ بالأُجورَ والدَّرجَاتِ العُلى والنَّعيمِ المقيمِ»[1]. ـ الحديث ـ فقالَ المُستَدِلّ: الغني يحصُلُ ١٤ أ/ الثَّوابُ والفَضْلُ ونحوُه ممَّا ذُكِرَ، واستدلالُهُ غيرُ متَّجهٍ كأنَّه ليسَ الكلامَ في أنَّ الغني يحصُلُ بهِ الخيرُ أم لاَ؟ ولا أنَّهُ نَقْصٌ في الشخصِ ولاَ أنَّ غيرَهُ أفضلُ منهُ. وإنّما الكلامُ، أن هذا الاسمَ الذي هو التصوفُ يُنافِيهِ الغِنىٰ أم لاَ؟. فـإن الوقفَ علىٰ الصُّوفيِّ يُشعِرُ بالفَقْرِ من حيثُ العُرفُ.

فإنَّه يقصِدُ بالوقوف علىٰ الصُّـوفِيَّةِ إعـانتَهُمْ علىٰ التَخلِّي لِلعبادةِ، فيكفيهم المُؤُونةَ المحوجةَ إلىٰ الكسب، وتعاطي الأسبابِ، ولا يمنعُ أن يكونَ غَيرُهم أعلمَ وأفضلَ وأكثرَ ثواباً وأجزلَ، فَلَو وقفَ شخصٌ على الفُقَهاءِ صُرِفَ إلى مسلمِ بنِ خالدٍ الزِّنجي[2] والحجاجِ بنِ أرطاةَ[3]، ولا يُصرفُ

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٠٦) في الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، وهو عند غيره من الأئمة أيضاً بألفاظ وروايات مختلفة، انظرها مع تخريجها في «جامع الأصول» (٩/٢١٨ ـ ٢٢١). (م).

(٢) هو مسلم بن خالد بن سعيد بن جُرْجة، من أهل الشام، وهو مولى لآل سفيان بن عبدِ الأسد المخزومي، فقيه، عابد، ت بمكة سنة ١٨٠ هـ، في خلافة هارون الرشيد، انظر، ابن سعد: الطبقات، ٥/٤٩٩، ٢/٣٠٧:

(٣) الحجاج بن أرطاة بن ثور بن شراحيل بن كعب مفتي الكوفة، من بحور العلم، وولي =

لبعضِ مَن أُدرِجَ في الصَّحابةِ ممَّنْ لاَ فِقْهَ لهُ، وإنْ كانَ أكثرَ فضلاً وفخراً وأكبرَ ذِكراً وقدراً.

وكذلك لَو وَصَّى للشافعيَّة، صُرِفَ إلى ابنِ الأنصاري[1] وَلا يُصرفُ للطَّحاوِي[2] وأبي يَعلىٰ الفرّاء[3] وأمثالِ ذلكَ.

ثُمّ إنَّ المال مَطيَّةَ الطغيان والافْتِتانِ، وسببٌ يُتَوَصَّلُ بهِ إلى العصيان. قالَ اللهُ تَعالىٰ ١٤ ب/ «كلَّا إنَّ الإنسانَ لَيَطْغىٰ. أنْ رآهُ استَغْنىٰ»[4].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾[5].

= قضاء البصرة (ت ١٤٩ هـ)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٧/٦٨، ابن سعد: الطبقات، ٦/٣٥٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢/٥٤ ـ ٥٦.

(١) سلمان بن ناصر الأنصاري: أبو القاسم (ت ٥١٢ هـ)، تلميذ إمام الحرمين، كان فقيهاً في علم الكلام والتفسير، زاهداً ورعاً، راسخاً في علم التصوف، شرح الإرشاد لإمام الحرمين، له تصانيف في الفقه، انظر، السبكي: طبقات الشافعية، ٤/٢٢٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٤/٣٤.

(٢) المقصود أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) هو أحمد بن محمد ابن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ابن أخت المُزني، كان شافعياً ثم تحول إلى الحنفية، انظر، ابن حجر: لسان الميزان، ١/٢٧٤ ـ ٢٨٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ٢/٣٠٦. اليافعي: مرآة الجنان، ٢/٢٨٩، ابن الأثير: اللباب، ٢/١٧.

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، أبو يعلى (ت ٤٥٨ هـ)، عالم في الأصول والفروع وأنواع الفنون بغدادي، ولاه القائم دار الخلافة والحريم، من تصانيفه، الأحكام السلطانية، الإيمان وغيرها، كان شيخ الحنابلة، انظر، ابن أبي يَعلىٰ: طبقات الحنابلة، ٢/١٩٣، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٢/٢٥٦، الكتبي: الوافي بالوفيات، ٣/٧.

(٤) سورة العلق، آية: ٦.

(٥) سورة التغابن، آية: ١٥.

وفي «الصحيحين»: أنه لَمَّا قَدِمَ أبو عبيدةَ بمالِ البحرينِ، فسمعتْ الأنصارُ، فَوَافُوا صلاةَ الفجرِ ـ الحديث ـ وفيه: أنَّ النبيَّ، قالَ: «ما أخشَىٰ عليكُم الفقرَ، ولكنْ أخشىٰ عليكُم أنْ تُبْسَطَ الدُّنيا عليكُم كمَا بُسِطَتْ على مَنْ كانَ قبلَكُم، فتنافَسُوها كما تَنافَسوها فتُهلكُكُمْ كَما أهلَكَتهُم[1]».

وفي رواية: «فتلهيكُم كما ألهتهُم»[2].

وفي حديثِ كعبِ بنِ عياض: (سمِعتُ رَسُولَ الله، يقولُ: «إنَّ لِكلِّ أُمَّةٍ فتنَةً، وفتنةُ أُمَّتي المالُ» (أخرجه الترمذي)، وقالَ: حسن صحيح[3].

وفي «صحيح البُخاري»: أنَّ النبيَّ، لمَّا رأى على بابِ فاطِمةَ ستراً موشِيّاً، ورَجَعَ ـ الحديث ـ وفيهِ قالَ: «مَالي ولِلدُّنيا»[4].

وفي حَديثِ أبي أُمامَة: أنَّ النبيَّ، قالَ: «يا بنَ آدمَ، إنَّكَ إنْ تَبذُلِ الفضلَ

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٣١٥٧) في الجزية: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، و(٤٠١٥) في المغازي: باب رقم (١٢)، ومسلم رقم (٢٩٦١) في الزهد والرقائق، في فاتحته، والترمذي رقم (٢٤٦٢) في صفة القيامة: باب رقم (٢٨)، وابن ماجه رقم (٣٩٩٧) في الفتن: باب فتنة المال، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣٧ و٣٢٧) من حديث المِسْوَر بن مخرمة رضي الله عنه. (م).

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٦٤٢٥) في الرقاق: باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم رقم (٢٩٦٢) (. . .) في الزهد والرقائق، في فاتحته.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٣٣٦) في الزهد: باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح. قلت: ومعاوية بن صالح، هو معاوية بن صالح بن حُدَير الحضرمي أبو عمرو وأبو عبد الرحمن الحمصي قاضي الأندلس، صدوق له أوهام كما قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» ص (٥٣٨). ورواه أيضاً أحمد في «المسند» (٤/ ١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي. (م).

(٤) رواه البخاري رقم (٢٦١٣) في الهبة: باب هدية ما يُكرَهُ لُبسُها، وقد أورده المؤلف مختصراً وبالمعنى، من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. (م).

خيرٌ لكَ، وإنْ تُمسِكهُ شرٌّ لكَ، وَلَا تُلامُ علَىٰ كفافٍ، وابدأْ بمَنْ تعولُ[1].
(أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح).

١٥ أ/وأخرجَ أبو نُعَيم الحافظ بسندِهِ: أنهُ قيلَ (لأبي بكرٍ الصِّدِّيق: يا خَليفَةَ رسولِ اللهِ، ألَا تَستعمِلُ أهلَ بدرٍ؟ قَالَ: «إني أرى مكانَهُم، ولكني أكرهُ أن أُدنِّسهُم بالدُّنيا»[2].

وَلَا شَكَّ أنَّ التَّقلُّلَ مِنَ الدُّنيا شعارُ الصَّالحينَ وَمُنتمى الزُّهادِ والعَارِفينَ.

فالوقفُ والوصيةُ للصوفيِّ مشعرٌ بالفقرِ لَا محالةَ، ولكنْ هُنا فَرعٌ، وهوَ أنَّا إذا شرطنَا الفقرَ، فهلْ يَقبلُ الذي يدَّعي التَّصوُّفَ، أنّه صوفيٌّ؟.

لا شكَّ أنَّ الوقفَ والوصيَّةَ على الفقهاءِ لا يقبلُ فيهِ منْ يدَّعي الفقهَ، وكذا الحديث وأشباه ذلك وإذا وقفَ على الأغنياءِ فلا بدَّ من إثباتِ ذلك. وإذا أُوقِفَ على الفقراءِ قُبِلَ قولُ مدَّعي الفَقرِ.

والصُّوفيُّ مُتَردِّدٌ بينَ ذلك، فإنْ جعلنَا التَّصوُّفَ عبارةً عن الصفاتِ النَّفسانيَّةِ فلا شكَّ أنه يُقبلُ قولُه، كما إذا قالَ لزوجتِهِ: إن حضتِ فأنتِ طالقٌ، يقبل قولها، بل ذلك أولى بالقَبولِ، فإنَّ الحيضَ يمكنُ إقامةُ البيِّنةِ عليهِ، وعلمُ الزوجِ له وبالرؤيةِ والقرائنِ، وكذا إذا قُلنا: الصوفيُّ المشتغلُ بالعباداتِ في الغالبِ ١٥ ب/ فإنا لا نُريدُ بالعباداتِ إلاّ ما زادَ على

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٤٣) في الزهد: باب رقم (٣٢) وهو عند الإمام مسلم رقم (١٠٣٦) في الزكاة: باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأحمد في «المسند» (٥/٢٦٢) من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه. (م).

(٢) ذكره أبو نُعَيم في «حلية الأولياء» (١/٣٧) في أواخر ترجمة أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه.

وبه تم تخريجنا لأحاديث هذا الكتاب النافع في غرة شهر رجب المعظم من عام (١٤٠٨) هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجزي مؤلفه ومحققه وناشره خير الجزاء. (م).

المفروضاتِ، وأكثرُها مما نُدبَ الشرعُ إلىٰ إخفائهِ. كما في النوافلِ حيثُ طلبَ فِعلَها في البيتِ وأشباهِها، ولا تقولُ بظهرها ليُقيمَ البيِّنة عليْها، فإنَّه ضِدُّ المُرجَّحِ في نظرِ الشَّارعِ.

وكذا منْ قالَ: الوقفُ على الصوفيَّةِ، يُصرفُ للفقيرِ، يُقبَلُ قولُه، حيثُ يُقبلُ قولُ الفَقيرِ.

وأمَّا علىٰ طَريقةِ الغَزالي في الزيِّ والخِلطَةَ والمساكنةِ، فَهٰذا يظهرُ فيهِ أنَّه لا بدَّ من البيِّنَةِ، فإنَّه لا يشُقُّ ولا يَعسُرُ إقامةُ البيِّنَةِ عليهِ، وهوَ من الأفعالِ الظاهرةِ، فأُلْحِقَ بما هو في معناه.

هذا تمامُ ما لخَّصتُهُ وآخرُ ما حرَّرتُه بحسبِ علمي ومنتهى فهمي. ونختمهُ بخاتمةٍ، فأقولُ:

خاتمـــة:

اشتُهِرَ بين المتأخِّرينَ الذينَ أدرجُوا أنفسَهُمْ في الصوفيَّةِ أنَّ طريقَهم مباينَةٌ لطريقِ الفُقَهاءِ قولاً وفعلاً، فوقعَ بسببِ ذلك تَنافرٌ أوجبَ كلامَ بعضِهِمْ في بعضٍ، ونحنُ نذكرُ من كلامِ أئمتِهِمْ والقدوَةِ عندَهُم، ما يُعرِّفُكَ أنَّ التصوُّفَ اتِّباعُ السنَّةِ التـي الفُقَهاءُ يتَّصِفُونَ بِها ١٦ أ/، فذكرَ الأستـاذُأبو القاسمِ القُشيري ـ أحدُ شيوخِهِم الأعيانِ، والمُقتَدىٰ بهِ في هذا الشـأنِ ـ جملةً من مقالاتِهِمْ في التَّوحيدِ، وأُصولِ العقائدِ في رسالَتِهِ.

وقالَ: إنَّه إنَّما ذكرَهَا ليُعْلَمَ أنَّ عقائِدَهُم على وفقِ الكِتابِ والسنَّةِ، فلا أُطوِّلُ الكلامَ بِذكرِها[1]. وذكرَ منْ أقوالِهِم ما نذكرُ بعضَه ليكونَ حجـةً عليهِم، فإنهم قُدوتُهم.

وأولُ راضٍ سيـرةً مِن سِيَرِهَـا. فحكى أولاً عن أبي عبدالله بنِ

(١) انظر الرسالة القشيرية، ١/٣٢ ـ ٥٥.

خفيفٍ[1]، أنّه قالَ: اقتَدُوا بخمسةٍ من شُيوخِنَا، وسلِّمُوا للبّاقي في أحوالِهم، فذكرَ الحارثَ بنَ أسدٍ المُحاسبيّ[2] والجُنيدَ بنَ محمدٍ، وأبا محمدٍ رُوَيم[3] وأبا العبّاسِ بنَ عطاء[4] وعمرَو بنَ عثمانَ المكيّ[5].

---

(١) هو محمد بن خفيف الشيرازي، أبو عبدالله (ت ٣٧١ هـ)، كان من الأمراء، أقام بشيراز، تصوف وغدا شيخ الشيوخ، انظر، القشيري: الرسالة، ١/٢١٢ ـ ٢١٣، الشعراني: الطبقات، ١/١٢٠ السلمي: طبقات الصوفية، ٤٦٢، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ١٠/٣٨٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣/٧٦.

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ)، أبو عبدالله، أول متصوف سني تتضح من مؤلفاته ثقافة كلامية متكاملة (معروف مشهور) حول سيرته انظر، ابن النديم: الفهرست، ١٨٤ القشيري: الرسالة، ١/٨٩، الكلاباذي: التعرف، ٤٥، الشعراني: الطبقات، ١/٧٥، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/٧٣، السلمي: طبقات، ٥٦، ابن خلكان: وفيات، ١/١٥٧، ابن العماد الحنبلي: شرات، ٢/١٠٢، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨/٢١١.

(٣) أبو محمد، رويم بن أحمد (ت ٣٠٣ هـ)، بغدادي من أجِلّة المشايخ، كان مقرئاً وفقيهاً، على مذهب داود الظاهري انظر، القشيري: الرسالة، ١/١٤٤، الكلاباذي: التعرف، ٤٣ الشعراني: الطبقات، ١/٨٨، السلمي: طبقات الصوفية، ١٨٠، أبو نُعيم: حلية الأولياء ١٠/٢٩٦، ابن الجوزي: المنتظم، ٦/١٣٦.
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨/١٣٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/١٢٥.

(٤) أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي (نسبة لبيع الأدم، الجلد) ت ٣٠٩ هـ، من كبار مشايخ الصوفية انظر، القشيري: الرسالة، ١/١٦٨، الشعراني: الطبقات، ١/٩٥، الكلاباذي: التعرف، ٤٣، ابن الجوزي: المنتظم، ٦/١٦٠، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/٣٠٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ٢/٢٥٧.

(٥) عمرو بن عثمان المكي (أبو عبدالله) ت ٢٩١ هـ، شيخ القوم إمام الطائفة في الأصول والطريقة، مات ببغداد، انظر، القشيري: الرسالة، ١/١٥٠، الكلاباذي: التعرف، ٤٣، الشعراني: الطبقات، ١/٨٩، السلمي: طبقات الصوفية، ٢٠٢، أبو نعيم: حلية، ١/٢٩١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٢/٢٢٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٢/٢٢٥.

قالَ: فهؤلاءِ يُقْتدىٰ بِهم لأنَّهم جَمَعوا بينَ العلمِ والحَقائقِ.

وقال أَبو يزيد البسطامِيّ[1]: عملتُ في المجاهدةِ ثلاثينَ سنةً، فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليَّ منَ العلمِ ومتابعتِهِ، ولَولا اختلافُ العلماءِ لأفتَيْتُ، واختلافُ العلماءِ رحمةٌ إلَّا في التَّوحيدِ[2].

وقالَ: إذا نظرتُم إلىٰ رجلٍ أُعطِيَ منَ الكَراماتِ حتّى يتربَّع ١٦ ب/ في الهواءِ فلا تغتَرُّوا بِهِ حتّى تنظُروا كيفَ تجدونَهُ عندَ الأمرِ والنهيِّ وحفظِ الحدودِ وأداء الشريعةِ[3].

وقالَ: أبو حفصٍ عمرُ الحدادُ[4]: منْ لمْ يزنْ أحوالَهُ وأفعالَهُ في كُلِّ وَقتٍ بالكِتابِ والسنَّةِ فَلَا يُعدُّ في ديوانِ الرِّجالِ.

---

(١) أبو يزيد بن طيفور بن عيسىٰ البسطامي (ت ٢٦١ هـ)، من كبار المتصوفة، انظر القشيري: الرسالة، ١/١٠٠، الكلاباذي: التعرف، ١ ع، الشعراني الطبقات، ٧٦/١، السلمي: طبقات الصوفية، ٦٧، أبو نُعيم: حلية الأولياء، ٣٣/١٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥٣١/٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ١٤٣/٢، المناوي: الكواكب (الطبقات)، ٢٤٤/١.

(٢) في الرسالة القشيرية ١/١٠٠ ورد «عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئاً أشد عليَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لفتيت واختلاف العلماء رحمة إلا في «تجريد التوحيد».

(٣) المراد بالنص الحث على اتباع الكتاب والسنة، وعدم الخروج عن السنن.

(٤) أبو حفص، عمر بن سلمة الحداد (ت ٢٦٠ هـ ونيف)، من قرية كورد أباذ على باب مدينة نيسابور على طريق خراسان، أول من أظهر التصوف هناك، انظر، القشيري: الرسالة، ١١٨/١ ـ ١١٩، الكلاباذي: التعرف ٤١، الشعراني: الطبقات، ٨٢/١، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٢٩/١٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ١٥٠/٢، السلمي: طبقات الصوفية، ١١٥/١ ـ ١٢٢.

وقال أستاذ الطائفةِ الجُنيدُ: الطُّرقُ كلُّها مسدودةٌ عن الخلقِ إلاّ منِ اقتَفىٰ أثرَ الرَّسولِ[1]. . . .

وقالَ أيضاً: من لمْ يقرأ القُرآنَ ولمْ يكتبِ الحديثَ لا يُقتدىٰ بهِ[2] في هٰذا الأمرِ، لأن عِلمَنا قصيرٌ بالكتابِ والسنَّةِ.

وقالَ أيضاً: عِلمُنا هٰذا مسندٌ[3] بحديثِ رسولِ اللهِ.

وقال أبو عثمانَ، سعيدُ بنُ إسماعيلَ: منْ أمَّرَ السنَّةَ على نفسهِ قولاً وفعلاً نطقَ بالحكمةِ، ومن أمَّر الهوىٰ نطقَ بالبِدعَةِ[4].

وَقالَ أبو الحسين النُّوريّ: من رأيتَهُ يدَّعي مع اللهِ حالاً تُخرجُهُ عن حدِّ العلمِ الشرعيِّ فَلا تَقرَّ منهُ.

وقالَ أبو حمزةَ البغدادي: لا دليلَ على الطَّريقِ ١٧٠ أ/ إلى اللهِ إلاّ مُتابعةُ الرَّسولِ في الأحوالِ والأفعالِ[5].

وقالَ أبو القاسمِ، إبراهيمُ بنُ محمدٍ النَّصر أبادي[6] شيخُ خُراسانَ في وقتهِ:

---

(١) وردت في الرسالة القشيرية، ١/١٣٤.

(٢) في الأصل «بهم».

(٣) في الرسالة القشيرية ١/١٣٥ «مشيد».

(٤) وردت في الرسالة القشيرية، ١/١٣٩، أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، ١٤٤.

(٥) وردت في الرسالة القشيرية، ١/١٧٣.

(٦) إبراهيم بن محمد، أبو القاسم النصر أبادي (ت ٣٦٩ هـ)، من أئمة المتصوفة، شيخ خراسان في وقته، يرجع إليه في أنواع العلوم من حفظ السنن وجمعها، كثير الرواية انظر، المناوي: الكواكب الدرية، ٢/٦، القشيري: الرسالة، ١/٢٢٢، الشعراني: الطبقات، ١/١٢٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٣/٥٨، ابن الجوزي: المنتظم، ٤٨٤، السلمي: طبقات، ٤٨٤، الصفدي: الوافي، ٦/١١٧.

أصلُ التَّصوُّف ملازمةُ الكتابِ والسُّنَّةِ، وَتركُ الأهواءِ والبدعِ، وتركُ ارتكابِ الرُّخَص والتَّأويلاتِ[1].

وقال السّهرَوَرْديّ: كُلُّ حقيقةٍ مُباينةٍ للشريعةِ فهي زندقةٌ.

فهذا كلامُ مشايخِ الطريقةِ، ومن تُنسبُ إليهم المعرفةُ والحقيقةُ والمتمثِّلُ قولهم عند الخليقة.

وفي الكتابِ العزيزِ والسنةِ النبويةِ من تعظيم العلمِ الشرعيِّ وحَمَلَتِهِ ما لا يخفى عن ذوي الألباب ولا يجحدُهُ إلاّ أهل الحِجابِ. والمنتسبونَ إلى التصوفِ أقسام:

قسم اتبعوا ما جاء في الشرعِ، وَوَقفوا مع ما قالَه علماءُ السنة من أهل الأصل وأرباب الفرع، فهمُ الذين يستحقون التعظيمَ ويستوجبون التبجيلَ والتكريمَ.

وقسمٌ حصل لهم غُلوٌّ في طريق ابتدعوها وعقائدَ اخترعوها، ووقفوا مع ألفاظ مزخرفةٍ جمعوها، فأُدخلوا في جُملة الكفار وحكم ١٧ ب/ عليهم باستحقاق النار.

وقد ذكر القاضي عياض[2] في الشفا وغيره: وقسم غلب عليهم

(١) وردت عند الأدفوي بصورة مختصرة، أما في طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٨، والكواكب الدرية، للمناوي ٢/٦ فكانت «بعد البدع» وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق - وحسن صحبة الرفقاء والقيام بخدمتهم واستعمال الأخلاق الجميلة والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات.

(٢) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ت ٥٤٤ هـ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، عليم بكلام العرب وأنسابهم، مشهور معروف، من تصانيفه، الشفا، انظر، ابن خلكان: وفيات، ١/٣٩٢ الضبي: بغية الملتمس، ٤٢٥، الحُميدي: جذوة المقتبس، ٣٧٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/٢١٢، =

الجهلَ، والوقوف مع ما أحدث من رسوم، وتركوا النظرَ في المعارفِ والعوارفِ والعلومِ.

فاستحوذَ عليهم الشيطانُ، وغلبَ عليهمُ الطغيانُ والعصيانُ. فاحتفلوا بالرقصِ والسماعِ والشهواتِ التي تثيرُها الطباعُ لا يقتفون شرعاً، ولا يجتنبونَ أمراً بِدْعاً، فهم الأخسرون أعمالاً، «الذين ضل سعيُهُم في الحياةِ الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»[1].

وقالَ أبو حفصٍ الحدّادُ: إذا رأيتَ المُريدَ يُحِبُّ السماعَ، فاعلَمْ أنَّ فيهِ بقيَّةً لِلبَطالَة[2]، وسُئِلَ أبو عليِّ الرُّوذبارِي[3]، الإمامُ العالمُ المحقِّقُ عمّن يسمعُ المَلاهي، ويقولُ هيَ لي حلالٌ، لأني قد وصلتُ إلى درجةٍ لا تؤثِّرُ فيهِ[4] اختلافُ الأحوالِ.

فقالَ أبو عليٍّ: نَعَمْ وصلَ إلى سقَر.

نسألُ اللهَ العافيةَ والسلامةَ والحمدُ لله الذي والى علينَا إنعامَهُ.

والصلاةُ علىٰ المخصوصِ بالمَقامِ المحمودِ يومَ القيامةِ.

حسبُنَا اللهُ ونعمَ الوَكيلُ.

= ابن الأثير: تهذيب، ٢/٤٣، ابن كثير: البداية: ١٢/٢٢٥.

(١) سورة الكهف، آية ١٠٤.

(٢) انظر الرسالة القشيرية، ١/١٨٥، السهروردي: عوارف، ١٨٧.

(٣) هو أبو علي، أحمد بن محمد الروذباري ت ٣٢٢ هـ، بغدادي أقام بمصر، صحب الجُنيد والنوري وابن الجلاء، انظر، القشيري: الرسالة ١/١٨٥، الكلاباذي: التعرف، ٤٤، الشعراني: الطبقات، ١٠٦.

(٤) في الرسالة «في» وهو الأصح.

مصادر ومراجع التحقيق

- ابن أبي يعلى (محمد بن محمد): طبقات الحنابلة، وقف على طبعه محمد حامد الفقي، ط. القاهرة ١٩٥٢ م.
- ابن الأثير الجزري (علي بن محمد): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط. بيروت ١٣٢٨ هـ،
  - الكامل في التاريخ، ط. بيروت ١٩٦٦،
  - اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط. القاهرة ١٩٧١م.
- الأُدفوي (جعفر بن ثعلب): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، ط. مصر ١٩٦٦ م.
- الأسنوي (عبد الرحمن بن الحسن): طبقات الشافعية، تحقيق عبدالله الجبوري، ط. بغداد ١٩٧١ م.
- الأصبهاني، أبو الفرج (علي بن الحسيني): الأغاني، ط. مصر ١٩٦٩ م.
- الباقلاني (محمد بن الطيب): كتاب البيان عن الفرق، تحقيق رتشرد مكارثي، ط. بيروت ١٩٥٨ م.
- بدوي (عبد الرحمن): تاريخ التصوف الإسلامي، ط. الكويت، ١٩٧٥ م.
- البغدادي (أحمد بن علي): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط. بيروت، د.ت.
- البغدادي (إسماعيل بن محمد): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ط. طهران ١٩٤٧ م، ط. بالأوفست (المكتبة الإسلامية، ١٩٦٧ م).
  - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط. طهران، ١٩٤٧م.
- ابن تغري بردي (يوسف بن عبدالله): النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ط. القاهرة. د.ت.

- التنوخي (علي بن المحسن): نشوار المحاضرة، نشرته مجلة المجمع العلمي بدمشق، العدد ١٧، سنة ١٩٤٨ م.
- الجاحظ (عمرو بن بحر): الحيوان، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط. القاهرة.
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي): تلبيس إبليس، ط. بيروت، ١٣٦٨ هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر أباد، ١٣٥٨ هـ.
- ابن حبيب (الحسن بن عمر): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط. مصر، ج ١ - ١٩٧٦، ج ٢ - ١٩٨٢ م.
- ابن حبيب (محمد بن حبيب): المحبر، ط. بيروت بالأوفست عن ط. حيدر أباد، سنة ١٩٤٢ م.
- ابن حجر (أحمد بن علي): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ط. القاهرة، ١٩٢٩ م،
- لسان الميزان، ط. بيروت، ١٩٧١ م.
- ابن حزم (علي بن أحمد): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط. الرابعة، مصر، ١٩٧٧ م.
- الحموي (ياقوت بن عبدالله): معجم الأدباء، نشره مرجليوث، ط. القاهرة، ١٩٣٦ م - ١٩٣٨ م.
- ابن حنبل (أحمد بن محمد): مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط. القاهرة، ١٩٤٨ م.
- حسين (علي صافي): الأدب الصوفي في مصر (ابن الصباغ القوصي)، ط. مصر، ١٩٧١ م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر، ط. بيروت، ١٩٧١ م.
- ابن خلكان (أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت، ١٩٧٤ م - ١٩٧٧ م، ط. مكتبة النهضة بمصر، ١٩٤٨ م (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد).
- خليفة (حاجي): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط. طهران، ١٩٤٧ م.
- الدلجي (أحمد بن علي): الفلاكة والمفلوكون، ط. بغداد، ١٣٨٥ هـ.
- الدمياطي (محمود مصطفى): معجم أسماء النبات، ط. مصر، ١٩٦٥ م.

- **الدميري (كمال الدين)**: حياة الحيوان، ط. بيروت، د.ت.
- **دوزي (رينهارت)**: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، النص المنشور في مجلة اللسان العربي، المجلد الثامن، الجزء الثالث، والمجلد التاسع، الجزء الثاني، والمجلد العاشر، الجزء الثالث.
- **الذهبي (محمد بن أحمد)**: تذكرة الحفاظ، ط. المثنى بالأوفست، بغداد، ١٩٦٦ م،
- سير أعلام النبلاء (الأجزاء ١ - ٢٢)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥ م،
- معجم الشيوخ، مخطوط في مكتبة أحمد الثالث، رقم ٢٢٩٥٣، منه ميكروفيلم في معهد المخطوطات العربية القاهرة، رقم ١٦٤ ف).
- **ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد)**: الذيل على طبقات الحنابلة، باعتناء محمد حامد الفقي، ط. القاهرة، ١٩٥٢ م.
- **الزركلي (خير الدين)**: الأعلام، بيروت، ١٩٧٩ م.
- **الزيات (حبيب الزيات الدمشقي)**: ليلة رقص وسماع أميرية للفقراء، مجلة المشرق، العدد ٤٣، سنة ١٩٣٩، نقلاً عن الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، المخطوط المحفوظ في المكتبة الأحمدية بحلب، رقم ١٢١٤، الجزء الأول. الفقراء المخربون، مجلة المشرق، المجلد ٤٣، ١٩٤٩ م.
- **السُبكي (عبد الوهاب بن علي)**: طبقات الشافعية، تحقيق الطناحي والحلو، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٨ هـ.
- معيد النعم ومبيد النقم، ط. بيروت، ١٩٨٣م.
- **السخاوي (محمد بن عبد الرحمن)**: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط. بيروت، د.ت.
- **ابن سعد (محمد بن سعد)**: الطبقات الكبرى، ط. بيروت، ١٩٦٨ م.
- **سلام (محمد زغلول)**: الأدب في العصر المملوكي، ط. مصر، ١٩٧١ م.
- **السُلمي (محمد بن الحسيني)**: طبقات الصوفية، ط. القاهرة، ١٩٦٩ م.
- **السمعاني (عبد الكريم بن محمد)**: التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي، ط. بغداد، ١٩٧٥ م.
- **السهروردي (عمر بن محمد، أبو حفص)**: عوارف المعارف، ط. بيروت، ١٩٦٦ م.

- **السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)**: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط. القاهرة، ١٩٦٤.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. مصر، ١٩٥٣ م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط. مصر، ١٩٦٧ م.
- طبقات المفسرين، ط. القاهرة، ١٩٧٦ م.
- **ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر)**: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت، ١٩٧٣ م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. القاهرة، ١٩٥١ م.
- **الشطنوفي (علي بن يوسف)**: بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ط. مصر، ١٣٠٤ هـ.
- **الشعراني (عبد الوهاب بن محمد)**: الطبقات الكبرىٰ (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ط. القاهرة، ١٩٦٥ م.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ط. القاهرة، ١٩٣٢ م.
- **الشيباني (محمد بن الحسن)**: الكسب، تحقيق سهيل زكار، ط. دمشق، ١٩٨٠ م.
- **صالحية (محمد عيسى)**: من وثائق الحرم القدسي الشريف، ط. الكويت، ١٩٨٤ م.
- **الصفدي (خليل بن أيبك)**: الوافي بالوفيات، الجزء الثالث، باعتناء س. ديدرينغ قسبادن، ١٩٧٤ م.
- **صفي الدين الخزرجي (الحسين بن جمال الدين)**: سير الأولياء في القرن السابع الهجري، تحقيق مأمون محمود ياسين، وعفت وصال حمزة، ط. بيروت، د. ت.
- **الصقاعي (فضل الله بن فخر)**: تالي وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبله، ط. بيروت، ١٩٧٤ م.
- **ابن طولون الدمشقي (محمد بن علي)**: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة، ١٩٦٢، ١٩٦٤ م.
- **الضبي (أحمد بن يحيى)**: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط. القاهرة، ١٩٦٧ م.

ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله): تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط. دمشق، ١٣٤٧ هـ.
- أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، تحقيق بنت الشاطىء، ط. السادسة، مصر، ١٩٧٧م. جديد في رسالة الغفران، ط. بيروت، ١٩٧٢ م.
- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. بيروت، ١٩٧٠ م.
- العمري (أحمد بن يحيى): مسالك الأبصار، تحقيق أحمد زكي، ط. القاهرة، ١٩٢٤ م.
- العيني (بدر الدين، محمود بن أحمد): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط في مكتبة سليم آغا - تركيا، رقم ٨٣٤ تاريخ، الجزء الثالث والثلاثون.
- الغزالي (محمد بن محمد، أبو حامد): إحياء علوم الدين، ط. بيروت، د.ت.
- الغزالي (محمد بن محمد، نجم الدين): لطف السمر وقطف الثمر، تحقيق محمود الشيخ، ط. دمشق، ١٩٨١، ١٩٨٢ م.
- ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم): تاريخ الدول والملوك، تحقيق قسطنطين زريق، ط. بيروت، ١٩٣٨ م - ١٩٤٢ م.
- فكري (أحمد): مساجد القاهرة ومدارسها، ط. مصر، ١٩٦٥ م.
- ابن الفُوَطي (عبد الرزاق بن محمد): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مصطفى جواد، ط. بغداد، ١٩٣٢ م.
- أبو الفيض (محمود أبو الفيض المنوفي): جمهرة الأولياء (أعلام الصوفية) ط. القاهرة، ١٩٦٧ م.
- القشيري (عبد الكريم بن هوازن): الرسالة القشيرية، ط. بيروت، د.ت.
- القلقشندي (أحمد بن علي): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط. مصر، ١٩٨٠ م.
- القفطي (علي بن يوسف): تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، ط. بغداد ومصر، سنة ١٩٠٣ (بالأوفست).
- ابن كثير (إسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، ط. بيروت، ١٩٦٦ م.
- كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، ط. بيروت، ١٩٥٧ م.
- الكلاباذي (محمد بن إبراهيم): التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق

عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، ط. القاهرة، ١٩٦٠ م.
- **المقري**: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ط. بيروت، ١٩٤٩ م.
- **ماير** (ل.): الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، ط. القاهرة، ١٩٧٢ م.
- **مبارك** (زكي): التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ط. بيروت، د.ت.
- **المقريزي** (أحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة ١٩٤٢، ١٩٥٨ م. المواعظ والاعتبار، ط. بولاق ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣ م.
- **المناوي** (عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، نشره محمود حسن ربيع، ط. القاهرة، ١٩٣٨.
- **المنذري** (محمد عبد العظيم بن عبد القوي): الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، ط. القاهرة، ١٩٥٤ م.
- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١ م.
- **ابن منظور** (محمد بن مكرم): لسان العرب، ط. بيروت، د.ت.
- **أبو نصر السراج الطوسي** (عبدالله بن علي): اللمع، حققه عبد الحليم محمود وطه. عبد الباقي، ط. مصر وبغداد، ١٩٦٠ م.
- **أبو نُعيم الأصبهاني** (أحمد بن عبدالله): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط. بيروت، ١٩٦٧ م.
- **النويري** (أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، ط. القاهرة، ١٩٧٦ م.
- **اليافعي** (عبدالله بن أسعد): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط. بيروت، ١٩٧٠ م.
- **اليونيني** (قطب الدين، موسى بن محمد): ذيل مرآة الزمان، مخطوط أكسفورد رقم POC. OR. 132.

* * *

مصادر ومراجع تخريج الأحاديث

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للحافظ المِزّي، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدّين، مصورة المكتب الإسلامي عن طبعة الدار القيمة بالهند، بيروت ١٤٠٣ هـ.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للإمام ابن الأثير، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، دمشق ١٣٨٩ هـ.
- حلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية في الكويت ١٣٩٩ هـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٥ هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، والشيخ إبراهيم عطوة عوض.
- السنن الكبرى، للبيهقي، مصورة دار الفكر، بيروت بدون تاريخ.
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، صنفه محمود الأرناؤوط، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، بإشراف العلّامة الشيخ عبد العزيز بن باز، المكتبة السلفية بالقاهرة ١٣٩٣ هـ.
- كتاب عشرة النساء (من السنن الكبرى) للنسائي، تحقيق الأستاذ عمرو علي عمر، مكتبة السُّنَّة، القاهرة ١٤٠٨ هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت بدون تاريخ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصورة المكتب الإسلامي، ودار صادر، بيروت ١٣٨٩ هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، د. ونسنك، بريل ١٣٥٦ هـ.

* * *

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأشعار

فهرس الكتب التي وردت في الكتاب والمقدمة

فهرس الأمم والقبائل والجماعات والطوائف

النباتات

الحيوانات

الاصطلاحات

فهرس البلدان والبقاع والمدن

فهرس الأعلام

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صدر حديثاً

التبيان

في آداب حملة القرآن

تأليف

للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي

(٦٣١ - ٦٧٦ هـ)

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع

الكويت